جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

الإيثار التركيبيّ في الفاصلة القرآنيَّة وأثره الدلاليّ

Syntactic Prioritization in Qur'anic Verse-Endings and Its Semantic Implications

إعداد

محمَّد حسام عبد التواب عبد المَجيد عبد الرحيم

أستاذ العلوم اللغويَّة المساعد – كليَّة الآداب – جامعة بني سويف

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الرابع-نوفمبر)

(الجزء الثاني (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

الإيثار التركيبيّ في الفاصلة القرآنيَّة وأثره الدلاليّ

محمَّد حسام عبد التواب عبد المَجيد عبد الرحيم

قسم اللغويَّات – كليَّة الآداب – جامعة بني سويف

البريد الإلكتروني : *Drmhossam@yahoo.com*

الملخص:

يعنى هذا البحث بظاهرة الإيثار التركيبيّ في الفاصلة القرآنيَّة وأثره الدلاليّ؛ أي العدول التركيبيّ في نهايات الآيات؛ حيث ورد نوعان من الإيثار اللغويّ التركيبيّ في الفاصلة القرآنيَّة، أوَّلهما: الإيثار المركَّب الذي يُعنى به إيثار تركيب على تركيب آخر، ثمَّ يشتمل على إيثار فرعيّ آخر، كإيثار الناسخ (الفعليّ أو الاسميّ) ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ أو المضارعيّ أو الأمريّ، مع إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، وآخرهما: إيثار مركَّب على مفرد، كإيثار الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في التركيب المؤثر وأركانه من مقتضيات دلاليَّة وسياقيَّة وأغراض بلاغيَّة في التصوُّر التخاطبيّ، يعقبها توازن صوتيّ بين التعبير المؤثر والفاصلة القرآنيَّة.

حفل التعبير القرآنيّ بالإيثار التركيبيّ في الفاصلة القرآنيَّة؛ فقد يؤثر التعبير بتركيب يتصدُّره الناسخ (كان) أو (إنَّ) على تركيب آخر، مع إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لدلالات سياقيَّة، وقد يقتصر الإيثار على الإخبار عن الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد في الفاصلة القرآنيَّة؛ لما للجار والمجرور من دور في قوَّة تمكُّن الخبر في الاسم؛ ولمقتضيات منها: قوَّة المبالغة في الإثبات أو النهي أو النفي أو الأمر، والتعريض بغير المخاطَب وبغير المتكلِّم، والإيجاز البديع ...

الكلمات المفتاحيّة: الإيثار التركيبيّ ،التعبير المؤثر ،المؤثر عليه ،الناسخ ،الإخبار ،الجارّ والمجرور.

Syntactic Prioritization in Qur'anic Verse-Endings and Its Semantic Implications

Muhammad Hussam Abdel Tawab Abdel Majeed Abdel Rahim

Assistant Professor of Linguistics, Faculty of Arts, Beni Suef University

Email: *Drmhossam@yahoo.com*

Abstract:

This study explores the phenomenon of syntactic (al-īthār at-tarkībī) and its isemantics in the Qur'an . Two types of syntactic preference appear in these verse-endings (fawāṣil). The first is compound preference, which refers to favoring one syntactic structure over another. This includes secondary preferences, such as favoring a nominal or verbal sentence with its elements (subject and predicate or verb and its complements) over a simple past, present, or imperative verbal structure—along with a preference for expressing the predicate using a prepositional phrase rather than a single word. The second type is compound-over-simple preference, such as preferring a prepositional phrase over a single-word predicate. These preferences are driven by semantic, contextual, and rhetorical considerations within the communicative framework. Moreover, they result in a phonetic balance between the preferred expression and the Qur'anic fāṣilah.

the Qur'anic expression abounds with syntactic preference (al-īthār at-tarkībī) in the verse-endings (fawāṣil). At times, the expression favors a syntactic structure initiated by a particle such as kāna (the copula) or inna (the emphatic particle) over another structure. This preference may include expressing the predicate using a prepositional phrase (jar wa majrūr)—often containing a derived plural noun—rather than a singular noun, due to contextual semantic considerations. In some cases, the preference is limited to using a prepositional phrase as the predicate of the nāsikh (either kāna or inna) in the verse-ending, instead of a single word. This is due to the significant role played by the prepositional phrase in firmly anchoring

the predicate to the subject. Such preference is motivated by factors such as intensifying affirmation, prohibition, or negation; implying meanings indirectly (whether toward an unaddressed third party or away from the speaker); and achieving eloquent conciseness (ījāz badīʿ).

Keywords: Syntactic Preference – Preferred Expression – Replaced Structure – Grammatical Particle (Nāsiḫ) – Predication – Prepositional Phrase (Jar wa Majrūr)

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه وسلّم ... أمَّا بعد، فإنَّ هذا البحث المعنون بـ(الإيثار التركيبيّ في الفاصلة القرآنيَّة وأثره الدلاليّ)، يعنى بظاهرة العدول أو الإيثار التركيبيّ في التصوُّر التخاطبيّ، وما ينتجه التركيب المؤثر المختار من دلالات لا ينتجها المؤثر عليه، فلهذه الظاهرة مقتضيات دلاليَّة وسياقيَّة وبلاغيَّة في الفاصلة القرآنيَّة.

حفل النصّ القرآنيّ بالإيثار التركيبيّ؛ حيث يؤثر التعبير بتركيب على تركيب آخر، كإيثار الإخبار عن (كان) أو (إنَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد؛ من أجل تصوُّر تخاطبيّ يراعي حال المتخاطبين، ويكمن فيه غرض بلاغيّ، اختير له من التراكيب ما يفصح عنه.

ولهذا الإيثار التركيبيّ مقتضيات دلاليَّة سياقيَّة، وأغراض بلاغيَّة، تعقبها توازنات صوتيَّة مراعاة للفواصل القرآنيَّة؛ فبين الإيثار التركيبيّ والدلالات المرجوَّة علاقة طرديَّة، ولا تنحصر فوائده في الزخرفة اللفظيَّة.

يسهم الإيثار التركيبيّ في الركن الدلاليّ المقصود في الآيات؛ لأنَّ المعنى الكامن في التركيب المؤثر المختار أشدُّ إقناعًا وأقوى تأثيرًا ممَّا في المؤثر عليه.

- **حدود البحث**: يختصُّ البحث الحالي بنهايات الآيات التي حفلت بإيثار تركيب يتصدَّره (كان) أمّ الباب في الأفعال الناسخة، أو (إنَّ) أمّ الباب في الحروف الناسخة، على غيره في الفاصلة القرآنيَّة، مع الاكتفاء بنماذج مختارة من الآيات.
- **أهمية البحث**: يحاول البحث سبر أغوار موضوع جديد يثري المكتبة العربيَّة من خلال الربط بين البناء اللغويّ التركيبيّ المؤثر على غيره في نهايات الآيات

القرآنيَّة، مع بيان مقتضياته الدلاليَّة التي يفصح عنها؛ بل يزيد عن المؤثر عليه في ذلك.

- **أهداف البحث: يهدف البحث إلى دراسة التركيب القرآنيّ المؤثر على غيره في نهايات الآيات؛ من أجل:**

١- استكشاف التراكيب المؤثرة في نهايات الآيات القرآنيَّة.

٢- تحديد التراكيب التي تتضمَّن إيثارين في آنٍ واحد، أوَّلهما التركيب الأكبر، وآخرهما الخبر الذي يشتمل عليه.

٣- تحديد التراكيب التي اشتملت على إيثار الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد.

٤- توضيح المقتضيات الدلاليَّة للتراكيب المؤثرة، وما يتبعها من توازن صوتيّ مع الفاصلة القرآنيَّة.

- **منهج البحث**: يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليليّ؛ إذ يبيّن الباحث المواضع التي تجلَّى فيها الإيثار التركيبيّ في الفاصلة القرآنيَّة، ثُمَّ يبيّن الدلالات الكامنة في هذه التراكيب المؤثرة على غيرها في مواضعها وسياقاتها، وكذلك بيّن التعبير المؤثر عليه، مستعينًا بجداول توضيحيَّة للتعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)، وكذلك التعبير المؤثر عليه، كما أنَّ البحث سيفيد من مناهج البحث اللغويّ الأخرى، ومن الأمور وثيقة الصلة بالمنهج ما يلي:

١- استخراج الآيات التي تشتمل نهاياتها على الإيثار التركيبيّ.

٢- تصنيف التراكيب المؤثرة وفقًا لخطَّة البحث، من حيث تنوّعها بين (كان) ومعموليها، و(إنَّ) ومعموليها.

٣- بيان التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار) والتعبير المؤثر عليه في جداول توضيحيَّة.

- **المشكلة البحثيّة: تتمحور المشكلة البحثيّة في الأسئلة الآتية، التي سيجيب عنها البحث:**

١- هل تنوَّعت التراكيب المؤثرة في الآيات موضع الدراسة؟

٢-ما أنماط الإيثار التركيبيّ الواردة في الآيات موضع الدراسة؟

٣-ما دلالات التراكيب المؤثرة في الآيات موضع الدراسة؟

- خطَّة البحث: درس البحث ظاهرة الإيثار التركيبيّ في القرآن، من خلال دراسة التراكيب المؤثرة في التعبير القرآنيّ وبيان دلالاتها المقصودة وفقًا لسياقاتها؛ ولذلك قُسِّم البحث إلى مقدِّمة وتمهيد ومبحثين:

المبحث الأوَّل: إيثار الناسخ (كان) والإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور.

المبحث الثاني: إيثار الناسخ (إنَّ) والإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور.

تمهيد

مصطلحا الإيثار والجارّ والمجرور "دراسة في المفهوم والدلالة":

أُخذ الإيثار في اللغة من (أثر)، وآثره: أكرمه، ورجل أثير: مكين مُكْرَم، والمجموع: أُثراء، والأنثى أثيرة، وآثره عليه: فضَّله، قال ـ تعالى ـ ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴾ [يوسف:٩١]؛ أي فضَّلك وقدَّمك، وأثِر أن يفعل كذا وأثَر وآثَر: فضَّل وقدَّم، وآثرت فلانًا على نفسي من الإيثار: فضَّلته.(١)

والإيثار في الاصطلاح هو أن يقدِّم الإنسان غيره على نفسه في النفع له، والدفع عنه، وهو النهاية في الأخوّة.(٢)

فالإيثار تقديم أو تفضيل، ويعنى الباحث بالإيثار التركيبيّ: إيثار تركيب على تركيب آخر أو إيثار تركيب على مفرد مرفوع أو منصوب، كإيثار الناسخ الفعليّ أو الاسميّ ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ أو المضارعيّ، أو إيثار الإخبار بالجارّ والمجرور على المفرد؛ لمقتضيات دلاليَّة أو سياقيَّة، تتبعها مقتضيات صوتيَّة ونظميَّة يتمخَّض عنها التعبير المؤثر؛ ولا تتوافر في المؤثر عليه.

والعلاقة بين التركيب المؤثر والمعنى المراد علاقة طرديَّة؛ حيث يكمن في التركيب المؤثر ما يراد في التصوُّر التخاطبيّ، وقد ذكر ابن جني في باب قوَّة اللفظ المعنى: أنَّ هذا فصل من العربيَّة حسن، ومنه قول العرب: خَشُن واخشوشن، فمعنى (خَشُن) دون معنى (اخشوشن)؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو، وقول العرب: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب قالوا: اعشوشب، ومثله باب (فعلَ وافتعلَ)،

---

(١) انظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، (أثر)

(٢) انظر: المعجم الاقتصادي الإسلامي، أحمد الشرباصي، دار الجيل، ١٩٨١م، ص٤٢.

ومنه: قدر واقتدر؛ فقولهم: اقتدر أقوى معنى من: قدر، ومنه: كسب واكتسب، وقطع وقطَّع بتضعيف العين.(١)

فإذا كانت الألفاظ أدلَّة المعاني، ثمَّ زيد فيها شيءٌ؛ أوجبت القسمة له زيادة المعنى به(٢)، ولمَّا كانت اللغة تجد في الكلمة الطويلة بيانًا لمعنى أكثر ممَّا في الكلمة القصيرة(٣)؛ إذ يؤدِّي الحرف قسطًا من المعنى أو يؤدِّي وظيفة معيَّنة بوجوده في إطار الكلمة(٤)؛ فإنَّها تجد في الخبر المركَّب (الجارّ والمجرور) معنى أقوى ممَّا تجده في الخبر المفرد.

ويُنظر إلى دلالة الجملة العربيَّة من جهتين: أولاهما: الدلالة القطعيَّة والدلالة الاحتماليَّة، وأخراهما: الدلالة الظاهر والدلالة الباطنة، فالدلالة الظاهرة هي ما يعطيه ظاهر اللفظ، والدلالة الباطنة هي التي تؤدَّى عن طريق المجاز والكنايات والملاحن والإشارات وما إلى ذلك.(٥)

---

(١) انظر: الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، تح: د. محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٥٢م، ٣/٢٦٤ – ٢٦٦

(٢) انظر: الخصائص، ٣/٢٦٨.

(٣) انظر: اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، د. تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠م، ص٥٢.

(٤) انظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص١١٧، ١١٩.

(٥) انظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرّائيّ، دار الفكر، عَمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، ١/١٧ – ١٩.

ويأتي دور السياق اللغويّ الذي هو حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى؛ ممَّا يكسبها معنى خاصًّا محدَّدًا[١]؛ لأنَّ الدلالة الخاصة لبعض الصيغ قد تتحدَّد بوضعها في سياق تركيبيّ خاص.[٢]

وعندما تطَّرد الجملة على النسق المألوف قد لا تلفت الانتباه ولا تستدعي التأمُّل، لكنَّها عندما تكسر البناء الشائع، وتؤثِر عليه بناءً آخر، تحتاج إلى أناةٍ وريثٍ وتوقُّف للتساؤل عن هذا الخروج وسرّهِ؛ ومن ثمَّ فلا بدَّ من ربط كلّ تعبير بسياقه حتَّى يتَّضح وجه الخروج عن المألوف، وهكذا يمكن ربط كلّ جملة خرجت عن الاطِّراد بالموقف الذي ترد فيه، وبسياقها الذي يطلبها على النحو الذي جاءت به.[٣]

ويؤثر النصُّ القرآنيّ التعبير بتركيب على آخر؛ والعلاقة بين المعنى المقصود والتركيب المؤثر علاقة طرديّة؛ لأنَّ التركيب المؤثر يسهم في تجلية المعنى المراد في التصوُّر التخاطبيّ بصورة لا يؤدّيها التعبير المؤثر عليه، رغم وقوع الاثنين خبرًا في التركيب.

وتنماز اللغة العربيَّة في نصوصها عامَّة والنصّ القرآنيّ خاصة بتمتّعها بالثراء اللغويّ الذي يضعها في صدارة اللغات جميعها، من حيث إنتاج ما آلت إليه النظريَّات اللغويَّة واللسانيَّة قديمها وحديثها، فالنصُّ العربيّ (القرآنيّ والحديثيّ، والشعريّ والنثريّ) يكمن فيه ما أفصحت عنه النظريَّات اللغويَّة واللسانيَّة، بل لا يدانيه في ذلك نصٌّ آخر؛ إثر ما تتمتَّع به العربيَّة من مقوِّمات؛ فالآيةِ القرآنيَّة الواحدة أو

---

(١) انظر: مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢، ١٩٩٩م، ص٢٩٥.

(٢) انظر: بناء الجُمْلَة العربية، مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٠.

(٣) انظر: بناء الجملة العربية، ص٤٦ – ٤٩.

التعبير العربيّ الواحد، يحوي تكاملًا لغويًّا للظواهر، التي قد لا تجتمع في تعبير لغويّ آخر في لغة أخرى غير العربيَّة.

فإيثار تركيب لا يعنى به الجانب اللفظيّ الصوتيّ فحسب؛ إنّما يكتسي بعدًا دلاليًّا يكمن في الحدث المتلفَّظ به الذي يراد منه تحقيق أهداف المتخاطبين (أطراف الخطاب: المتكلّم، والمخاطَب)، مراعيًا البعد السياقيّ.

ويرتبط إيثار تركيب على تركيب آخر بما يفيده المؤثر من دلالات كتمكُّن الخبر من المخبر عنه وغيره من الدلالات التي قد لا تتوافر في المؤثر عليه، وقد حفل النصُّ القرآنيّ بالإيثار التركيبيّ وله مقتضياته في الإثبات والنفي.

يشبه مركَّب الجارّ والمجرور الجملة في تكوّنه من كلمتين، أوَّلهما: حرف الجرّ، وآخرهما: الاسم المجرور؛ ولذلك أطلق عليه النحويُّون، مع الظرف، مصطلح (شِبْه الجملة).

وسمّي هذا التركيب شبه الجملة؛ لأنَّه يشبه الجملة في أمور من أهمّها: التركيب، وتحمّل الضمير، والدلالة، والنيابة.(١)

فشبه الجملة كالجملة في كونه يتركَّب من كلمتين أو أكثر، لفظًا أو تقديرًا، وقيل: سُمِّي بذلك؛ لتردُّده بين المفردات والجمل؛ فهو إمَّا يتعلَّق بالفعل فيدلُّ على جملة وإمَّا بالاسم فيدلُّ على مفرد، فلمَّا كان أكثر تعلّقه بالفعل ويدلُّ على الجملة كان

(١) انظر: بنية شبه الجملة في التراكيب العربيَّة، "دراسة تحليليَّة في ضوء التراث النحويّ والدرس اللغويّ الحديث"، مأمون عبد الحليم محمد وجيه، المجلَّة العربيَّة للعلوم الإنسانيَّة، العدد ٣٠/١١٧، ٢٠١٢م، ص ١٢٩- ١٣١.

أشبه بالجمل منه بالمفردات، ولمَّا كانت العلاقة بين أركانه غير إسناديَّة ولا شرطيَّة خرج عن الجمل؛ فدرسه النحاة مع المفردات.(١)

ومن أحكام شبه الجملة حكم التعلّق؛ فلا بدّ من تعلّقه بالفعل أو ما يشبهه أو ما أوّل بما يشبهه أو ما يشير إلى معناه، فإن لم يوجد شيء من هذه الأربعة قُدِر. وزعم الكوفيون وابن طاهر وابن خروف أنَّه لا تقدير في نحو: زيدٌ عندك، وعمروٌ في الدار.(٢)

فالتعليق إيصال الحرف معنى الفعل إلى الاسم؛ أي الذي وصل معناه هو الذي يتعلَّق به الحرف، ففي قولك: سرتُ من البصرة، أوصلت (مِن) معنى السير إلى البصرة على معنى الابتداء وهو متعلِّق به(٣)؛ أي يفيد التعليق معنى التعدية الذي هو إيصال معنى الفعل إلى الاسم(٤)، ويكون بالكلمة التي يتمُّ فيها المعنى سواء أكانت ظاهرة أم مقدَّرة.(٥)

يدرك متدبِّر كتاب الله –تعالى– أنَّ كثيرًا من الآيات ختمت بتراكيب مؤثرة على غيرها، ولهذا الإيثار التركيبيّ في التعبير القرآنيّ صور كثيرة، منها إيثار الإخبار عن المبتدأ

---

(١) انظر: إعراب الجُمَل وأشباه الجُمَل، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط٥، ١٩٨٩م، ص٢٧١، ٢٧٢.

(٢) انظر: مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ)، تحقيق وشرح: عبد اللطيف مُحَمَّد الخطيب، السلسلة التراثيَّة، الكويت، ط١، ٢٠٠٠م، ٢٧١/٥.

(٣) انظر: أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو عثمان بن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، ودار عمَّار، عمَّان، د.ت، ص٦٨٥.

(٤) انظر: مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ٣٠٥/٥- ٣١٤ بتصرُّف.

(٥) انظر: إعراب الجُمَل وأشباه الجُمَل، شوقي المعري، دار الحارث، سوريا، دمشق، ١٩٩٧م، ص١٣٣.

بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد في قوله: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ ﴾ [الأنبياء: ٥٥]، وإيثار مركَّب الجارّ والمجرور في محلِّ المفعول به على المفرد في قوله: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس: ٢٧]، رغم كون التركيب المؤثر أطول من المؤثر عليه المختصر؛ لكنّ الإطناب التركيبيّ يقدَّم على الاختصار أو الإيجاز التركيبيّ.

ومن صور الإيثار –أيضًا– إيثار الإخبار عن الفعل الناسخ (أصبح) بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد؛ لما في التركيب المؤثر من دلالة على تمكُّن معنى الخبر في المخبر عنه، في قوله: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِي فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة: ٣١].

كما جاء مع (ما) النافية العاملة عمل (ليس) في قوله: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [الأنعام: ٥٦]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن (ما) بمركَّب الجارّ والمجرور (من المهتدين) على المفرد (مهتديًا)؛ ليدلّ على أنَّه إن اتَّبع أهواءهم خرج من فئة المهتدين إلى زمرة الضالّين، وفي التركيب المؤثر قوَّة مبالغة لا تتوافر في المؤثر عليه.

وللإيثار التركيبّ مقتضى عام هو أنَّ الموصوف عندما يكون واحدًا من جماعة يدلُّ على شدَّة تمكُّن الوصف من الموصوف؛ وذلك كإيثار تعبير: كان فلان من اللغويّين، على تعبير: كان فلانٌ لغويًّا؛ فالتعبير بكونه واحدًا من جماعة (من اللغويّين) أدلُّ على رسوخه في اللغة من التعبير بالمفرد (لغويًّا) وهكذا؛ رغم أنَّ الإخبار بالمفرد أخصر من التعبير بالجارّ والمجرور جمع المذكَّر السالم؛ لكنَّ قوَّة الدلالة تقدَّم في الاختيار على الاختصار.

يختصُّ البحث الحالي بدراسة نوعين من الإيثار، فأمَّا النوع الأوَّل فهو الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار التعبير بالناسخ (كان – إنَّ) ومعموليه على التركيب الفعليّ

الماضوي أو المضارعيّ أو الأمريّ، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عن هذا الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد في الفاصلة القرآنيَّة، وأمَّا النوع الأخير فهو إيثار الإخبار عن الناسخ الفعليّ أو الحرفيّ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع المشتقّ على المفرد؛ لما ينتجه التركيب المؤثر من دلالات وأغراض في التصوّر التخاطبيّ، لا ينتجها المؤثر عليه، منها: شدَّة تمكُّن الوصف من الموصوف أو قوَّة تمكُّن الخبر من المخبَر عنه، وقوَّة الدلالة في سياق الإثبات أو النفي أو النهي أو الأمر أو المدح أو الذمّ، والتعريض بغير المخاطَب أو بغير المتكلِّم، وتشريف المتكلِّم ورفعته ... وبعد ذلك قد يراعي الإيثار التوازن الصوتيّ الذي يتوافق مع الفاصلة القرآنيَّة.

المبحث الأوَّل

إيثار الناسخ (كان) والإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور

يؤثر النصُّ القرآنيّ التعبير بفعل الكينونة، ومعموليه على المركَّب الفعليّ الماضويّ أو المضارعيّ أو الأمريّ، مع إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، وسيبيِّن البحث ذلك لاحقًا.

كما يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار عن فعل الكينونة بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما يتمخَّض عنه المركَّب المؤثر في التصوُّر التخاطبيّ من دلالات سياقيَّة وأغراض بلاغيَّة: كتمكُّن الخبر في الاسم، وقوَّة المبالغة وشدَّتها في إثبات الخبر للاسم، والتعريض بغير المخاطَب، والتعريض بغير المتكلِّم، والإطناب البديع، والإيجاز البديع ...

يعقب هذه الدلالات توازنات صوتيَّة مراعاة للفاصلة القرآنيَّة، ولزيادة الإقناع والتأثير، وفي هذا النوع التعبيريّ والإيثار التركيبيّ تتجلَّى دلالات مركَّبة تكشف عن التكامل الفنّيّ في القرآن الكريم، كالإقناع والتأثير، والإطناب البديع والإيجاز البديع الذي يفيد تمكّن الخبر من المخبَر عنه في سياق الإثبات ويفيد قوَّة انتفاء الخبر عن الاسم المخبر عنه في سياق النفي ...

والنواسخ الفعليَّة هي ما وضع لتقرير الفاعل على صفة ... تدخل على الجملة الاسميَّة لإعطاء الخبر حكم معناها[1]؛ أي مضمون الأفعال الناقصة صفة لمضمون الخبر[2]، الذي يرد مفردًا أو جملة أو شبه جملة.

---

(١) انظر: شرح الرضيّ على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م، ١٨١/٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٨٨/٤.

وقد ذكر النحاة معاني الفعل (كان) وخبره؛ ففي نحو (كان زيدٌ قائمًا) يدلُّ على الكون أي الحصول المطلق، وخبره يدلُّ على الكون المخصوص، وهو كون القيام أي حصوله، فجيء أوّلاً بلفظ دالّ على حصول ما، ثم عُيّن بالخبر ذلك الحاصل. فكأنَّك قلت: حصل شيء، ثم قلت: حصل القيام؛ فالفائدة في إيراد مطلق الحصول أوّلاً ثمّ تخصيصه بعد ذلك. مع دلالته على تعيين زمان ذلك الحصول المقيّد. فالفعل (كان) يدلُّ على حصول حدث مطلق تقييده في خبره، وخبره يدلُّ على حدث معيّن واقع في زمان مطلق تقييده في (كان)، لكنَّ دلالة (كان) على الحدث المطلق أي الكون وضعيَّة، ودلالة الخبر على الزمان المطلق عقليَّة؛ فمعنى (كان زيدٌ قائمًا) أنَّ زيدًا متَّصف بصفة القيام المتَّصف بصفة الكون؛ أي الحصول والوجود.(١)

ومن أبرز معاني (كان)، مراعاة لخبرها، دلالتها على الماضي المنقطع أو الماضي المتجدّد المعتاد، فأمَّا المنقطع فهو الغالب عليها، نحو: كان عمرٌ عادلاً، وكان خالدٌ غنيًّا وأصبح فقيرًا، والماضي المنقطع على ضربين: ضرب يُراد به الاتّصاف بالحدث على وجه الثبوت، إذا كان خبرها اسمًا، وضرب يُراد به أنَّه حصل مرّة ولم يكن وصفا ثابتًا، إذا كان خبرها فعلاً ماضيًا، وأمَّا الماضي المتجدّد والمعتاد فهو عندما يكون خبرها فعلاً مضارعًا.(٢)

تجلَّت ظاهرة الإيثار المركَّب في النصِّ القرآنيّ، حيث آثر التعبير بفعل الكيونة أو (إنَّ) ومعموليه على غيره من التراكيب الفعليَّة الماضويَّة أو المضارعيَّة أو الأمريَّة، ثُمَّ الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد في مواضع، كما يؤثر النصُّ القرآنيّ الإخبار عن الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد في مواضع أخرى؛ لمقتضيات دلاليَّة وسياقية وأغراض بلاغيَّة، هي:

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٤/١٨١، ١٨٢.

(٢) انظر: معاني النحو، ١/٢١٠ – ٢١٤.

١- قوَّة المبالغة في الإثبات:

ورد الإيثار المركَّب في النصّ القرآنيّ، الذي يبدأ بإيثار التعبير بفعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ أو المضارعيّ لدلالة (كان) على رسوخ معنى خبرها في اسمها، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عن هذا الناسخ بمركَّب (الجارّ والمجرور المجموع) على المفرد في الفاصلة القرآنيَّة.

وقد جاء إيثار فعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ في مواضع، منها:

الموضع الأوَّل: قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤]؛ من يتدبَّر الآية يدرك الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار التعبير بالناسخ (كان) ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ (وكفر)، مع إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من الكافرين) على المفرد (كافرًا) في الفاصلة القرآنيَّة.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
إلاّ إبليس أبى واستكبر [وكان (من الكافرين)]	- إلاّ إبليس أبى واستكبرَ وكفرَ - إلاّ إبليس أبى واستكبرَ وكان كافرًا

قيل: (كان) في (وكان من الكافرين) بمعنى (صار)، وقيل: على بابها؛ أي كان في علم الله؛ لأنَّه لا خلاف أنَّه كان عالمًا بالله قبل كفره؛ أي كان في علم الله سيكون من الكافرين.(١)

وأحسن الوجوه –عند ابن عاشور– في معنى هذا الإيثار التركيبيّ المصدَّر بالفعل الناسخ (وكان من الكافرين) بالعدول عن مقتضى الظاهر (وكفر) كما قال: (أبى واستكبر)، التركيب الفعليّ الماضويّ (وكفرَ) عطفًا على مثله (أبى واستكبرَ)، وحجَّته أنَّ (كان) في مثل هذا الاستعمال تدلُّ على رسوخ معنى خبرها في اسمها؛ فالمعنى: أبى واستكبرَ وكفرَ كفرًا عميقًا في نفسه، وأمَّا الإتيان بخبر كان مركّبًا (من الكافرين) دون أن يقول (وكان كافرًا)؛ لأنَّ إثبات الوصف لموصوف على أنَّه واحد من جماعة ثبُت وصفهم بذلك، أدلّ على شدَّة تمكُّن الوصف من الموصوف ممَّا لو أثبت له الوصف وحده؛ لأنَّ الواحد يزداد تمسكًا بفعله إذا كان قد شاركه فيه جماعة؛ لأنَّه بمقدار ما يرى من كثرة المتلبّسين بمثل فعله تبعُد نفسه عن التردّد في سداد عملها.(٢)

وهذا دليل كنائيّ واستعمال بلاغيّ جرى عليه نظم الآية وإن لم يكن في زمن امتناع إبليس عن السجود جمعٌ من الكافرين؛ إنَّما كان إبليس وحيدًا في الكفر؛ ولذلك كان قوله: (وكان من الكافرين) جريًا على المتعارف في أمثال هذا الإخبار

---

(١) انظر: البحر المحيط، مُحمَّد بن يوسف أبي حيان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرين، قرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ٣٠٤/١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٤٢٦/١، ٤٢٧.

الكنائيّ، وفي هذا العدول عن مقتضى الظاهر مراعاة لما تقتضيه حروف الفاصلة القرآنيَّة أيضًا.(١)

فالتعبير القرآنيّ يؤثر الإخبار الجارّ والمجرور المجموع دون وجوده في الحقيقة في ذلك الزمان؛ إنَّما هو من ضرب من الإخبار الكنائيّ.

يؤثر التعبير القرآنيّ التركيب الطويل غير المختصر المصدَّر بالفعل الناسخ (وكان من الكافرين) على الاختصار الكامن في توالي المعطوفات من الأفعال (أبى واستكبرَ وكفرَ)، لقوَّة كان في رسوخ معنى الخبر في الاسم، كما أنَّ الإخبار بالجارّ والمجرور يدلُّ على قوَّة تمكُّن الخبر في الاسم المخبَر عنه، يتبع ذلك مقتضى التوازن الصوتيّ في الفاصلة القرآنيَّةالنونيَّة الغالبة في الآيات السابقات (صادقين – تكتمون ...) واللاحقات (الظالمين – إلى حين ...).

الموضع الثاني: قوله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ [الأعراف: ١٧٥]، آثر النصُّ القرآنيّ التعبير بـ(كان) ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ (فغوى) المعطوف على مثله (فأتبعه الشيطان)، ثمَّ آثر الإخبار عن هذا الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع المشتقّ (من الكاذبين) دون المفرد (فكان غاويًا).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
فأتبعه الشيطان [فكان (من الغاوين)]	–فأتبعه الشيطان (فغوى) –فأتبعه الشيطان (فكان غاويًا)

(١) انظر: المرجع السابق، ٤٢٧/١.

المراد بالغاوين المتَّصفين بالغيّ أي الضلال؛ فكان قوله: (من الغاوين) أشدَّ مبالغة في الاتّصاف بالغواية من أن يقال: (وغوى أو كان غاويًا).(١)

(فكان من الغاوين) يحتمل أن يكون معنى (كان) على بابها، فتدلّ على مضمون الجملة واقعة في الماضي، ويحتمل أن تكون بمعنى (صار)؛ أي صار من الضالّين الكافرين.(٢)

وهو يعطف الاسميَّة (فكان من الغاوين) على الجملة الفعلية (فأتبعه الشيطان)؛ لأنَّ الفعليَّة تدلُّ على التجرّد، والاسميَّة تدلّ على الثبوت.

الموضع الثالث: قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يوسف: ٢٠]، يتجلَّى الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار التعبير بالناسخ ومعموليه على التعبير الفعليّ الماضويّ، ثمّ يختم بإيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
وكانوا (فيه من الزاهدين)	– وزهدوا فيه – وكانوا زاهدين فيه

أخبر القرآن عن زهدهم في شراء يوسف بالجارّ والمجرور(من الزاهدين)؛ لأنَّ هذه الصيغة التعبيريَّة أشدّ مبالغة ممَّا لو أخبر بـ(كانوا فيه زاهدين)؛ لأنَّ جعلهم من فريق زاهدين ينبئ بأنَّهم جروا في زهدهم في أمثاله على سنن أمثالهم البسطاء الذين

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٧٦/٩.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٣٠٦/٥.

لا يقدرون قدر نفائس الأمور، وتقديم الجارّ والمجرور على عامله للتنوية بشأن المزهود فيه، وللتنبيه على ضَعف توسّمهم وبصارتهم، مع رعاية الفاصلة القرآنيَّة.(١)

يبدأ الإيثار المركَّب، بإيثار التعبير بفعل الكينونة ومعموليه (وكانوا فيه من الزاهدين) على التعبير الفعليّ الماضويّ (وزهدوا فيه)؛ لخصوصيَّة (كان) في دلالتها على رسوخ معنى خبرها في اسمها، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور (من الزاهدين) على الخبر المفرد (زاهدين)؛ لما الجارّ والمجرور من قوَّة المبالغة عن التعبير بالخبر المفرد، مع ما في هذا الإيثار المركَّب من قوَّة التأثير والإقناع، ومراعاة التوازن الصوتيّ في الفاصلة القرآنيَّة النونيَّة في الآيات.

يقدَّم في هذا الإيثار الجانب الدلاليّ الكامن في فعل الكينونة مع الإخبار عنه بالجارّ والمجرور وطول التركيب، على ما في الإخبار بالمفرد من الاختصار، فما في طول التركيب من الدلالة ومراعاة السياق وأحوال الخطاب يقدّم على الإيجاز التركيبيّ.

الموضع الرابع: قوله: ﴿ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٧ ﴾ [النمل: ٢٧]، آثر النصُّ القرآنيّ (كان) ومعموليها في الفاصلة القرآنيَّة على التركيب الفعليّ الماضوي (أصدقتَ أم كذبتَ)، مع إيثار الإخبار بالجارّ والمجرور المجموع (من الكاذبين) على المفرد (أم كنت كاذبًا).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
أصدقتَ أم [كنتَ (من الكاذبين)]	- أصدقتَ أم كذبتَ - أصدقتَ أم كنتَ كاذبًا

إنَّ بيان وجه طلب سليمان تحقيق صدق خبر الهدهد، والنظر هنا نظر العقل أو التأمُّل، لا سيَّما أنَّ إقحامُ (كنت) أدخلَ في نسبته إلى الكَذب، كما أنَّ تركيب (كنتَ

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٢/٢٤٤.

من الكاذبين) يفيد الرسوخ في الوصف بأنَّه كائن عليه، والإخبار عن (كان) بشبه الجملة (من الكاذبين) أشدّ في النسبة إلى الكَذب بالانخراط في سلك الكاذبين بأن يكون الكَذب عادة له، وفي ذلك إيذان بتوضيح تهمته بالكَذب ليتخلَّص من العقاب، وإيذان بالتوبيخ والتهديد وإدخال الروع عليه بأن كَذبه أرجح عند الملك ليكون الهدهد مُغلِّبًا الخوف على الرجاء، وذلك أدخلُ في التأديب على مثل فعلته وفي حرصه على تصديق نفسه بأن يُبلِّغ الكتابَ الذي يرسله معه.(١)

فلكي يتبين صدقه من كذبه قال: (سننظر أصدقتَ) في إخبارك أم كذبت، والنظر هنا التأمّل والتصفّح والتفكُّر، و(أصدقتَ) جملة معلّق عنها (سننظر) وهي في موضع نصب على إسقاط حرف الجرّ (في)؛ لأنَّه نظر بمعنى تأمُّل وتفكُّر؛ فيتعدَّى بـ(في)، وعادل بين الجملتين بـ(أم) ولم يكن التركيب (أم كذبتَ)؛ لأنَّ قوله: (أم كنتَ من الكاذبين) أبلغ في نسبة الكَذِب إليه؛ لأنَّ كونه واحدًا من جماعة الكاذبين يدلُّ على أنَّه معروف بالكذب، سابق له هذا الوصف قبل الإخبار بما أخبر به، وإن كان قد سبق له الوصف بالكَذِب كان متَّهمًا فيما أخبر به، بخلاف من يظنُّ ابتداء كذبه فيما أخبر به.(٢)

أراد أصدقتَ أم كذبتَ؟ إلاَّ أنَّ التعبير بتركيب (أم كنتَ من الكاذبين) أبلغ؛ لأنَّه إذا كان معروفًا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبًا لا محالة، وإذا كان كاذبًا اتّهم بالكذب فيم أخبر به فلم يوثق له.(٣)

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٩/٢٥٦.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٧/٦٨.

(٣) انظر: الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: أحمد عادل عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م، ٤/٤٥٠.

ومع هذه الدلالة اقتضى نظم الآية التعبير بالتركيب المصدَّر بالفعل الناسخ (كنتَ)، وإيثار الإخبار بالجارّ والمجرور (من الكاذبين) في الفاصلة القرآنيَّةعلى التعبير الفعليّ الماضويّ (أم كذبتَ) المعطوف على مثله (أصدقتَ)؛ فخصوصيَّة زيادة (كان)، وخصوصيَّة إثبات الوصف لموصوف على أنَّه واحد من جماعة موصوفين به، رغم أنَّه لم يكن في زمن الهدهد جمع من الطيور الكاذبين؛ إنَّما كان قوله: (أم كنتَ من الكاذبين) من باب الإخبار الكنائيّ البليغ، مع ما في هذا الإيثار من مراعاة التوازن الصوتيّ في الفاصلة القرآنيَّة النونيَّة الغالبة في الآيات السابقات (يهتدون – تعلنون ...) واللاحقات (يرجعون – مسلمين ...)

كما جاء إيثار فعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ المضارعيّ في مواضع، منها:

الموضع الأوّل: قوله: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف: ٣٢] ، يبدأ الإيثار المركّب بإيثار التركيب المصدَّر بالناسخ: (وليكونَنَّ من الصاغرين) على التركيب الفعليّ المضارعيّ: (وليصغرنَّ)، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عن هذا الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع المشتقّ: (من الصاغرين) على الخبر المفرد: (صاغرًا).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
ليسجنَنَّ [وليكونن (من الصاغرين)]	– ليسجنَنَّ وليصغرنَّ – ليسجنَنَّ وليكونن صاغرًا

ومن الصاغرين من الأذلاّء[١]، والصاغر: الذليل، وتركيب: (من الصاغرين) أقوى في معنى الوصف بالصَّغار من أن يقال: وليكونَنَّ صاغرًا.[٢]

يؤثر النصُّ القرآنيّ الإخبار عن (كان) بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد؛ لقوَّة المبالغة؛ لأنَّ الإخبار بالجارّ والمجرور أبلغ في وصف الاسم بالخبر من المفرد، أو به مبالغة في تمكُّن الوصف (الخبر) من الموصوف (الاسم).

ويؤكِّد التعبير القرآنيّ فعل الكينونة: (وليكونَنَّ) باللام ونون التوكيد الثقيلة مراعاة لحال المتكلِّم والمخاطب في سياق الكلام؛ فيحتاج الكلام إلى مؤكِّدين حرفيّين هما اللام ونون التوكيد.

مع ما في هذا الإيثار من العدول عن التركيب الفعليّ المضارعيّ: (ليصغرنْ) المعطوف على: (ليسجننَّ)؛ لما في (كان) من رسوخ معنى الخبر في الاسم، ولما في الإخبار بالجارّ والمجرور من شدَّة دلالة اتِّصاف الاسم بالخبر وقوَّة التأثير والإقناع، مع مراعاة التوازن الصوتيّ في الفاصلة القرآنيَّة النونيَّة الغالبة في الآيات السابقات (المخلصين – الكاذبين – الصادقين – الخاطئين ...) واللاحقات (الجاهلين – حتَّى حين – المحسنين ...)

الموضع الثاني: قوله: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء: ١٦٧]، يؤثر التعبير القرآنيّ الفعل الناسخ: (تكون) ومعموليه: (لتكونَنَّ من المخرَجين) على التركيب الفعليّ المضارعيّ: (لنخرجنَّك)؛ مع إيثار الإخبار عن هذا الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع المشتقّ: (من المخرَجين) على المفرد (مخرجًا).

---

(١) انظر: البحر المحيط، ٦٨/٧.

(٢) انظر: الكشاف، ٢٦٤/١٢.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
قالوا لئن لم تنته يا لوط [لتكونَّ (من المخرَجين)].	– قالوا لئن لم تنته يا لوط لنخرجنَّك. – قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونَنَّ مخرجًا.

فالتعبير بتركيب: (لتكونَّ من المخرَجين) أبلغ من التعبير بتركيب: (لنخرجنَّك)[1]؛ حيث دلّ قوله: (من المخرَجين) على أنّه سبق من نهاهم عن ذلك فنفوه بسبب النهي، أو من المخرَجين بسبب غير هذا السبب؛ كأنَّ من خالفهم في شيء نفوه بسبب مخالفته لهم.[2]

المعنى: لتكونَّ من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطرحناه من بلادنا، ولعلَّهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لأملاكه وأشباه ذلك، كما كان يفعل الظالمون إذا أجْلوا بعض من يغضبون عليه، وكما كان يفعل أهل مكَّة بمن يريد المهاجرة.[3]

ففي التركيب المؤثر: (لتكونَّ من المخرَجين) من قوَّة المبالغة والدلالة التي لا تتَّضح في التركيب الفعليّ المضارعيّ المؤثر عليه: (لنخرجنَّك)، والفعل مؤكَّد في التعبيرين المؤثر والمؤثر عليه، مع زيادة المؤثر عليه في الابتداء بالناسخ (كان)؛ لما له من دلالة في هذا السياق، وكذلك الإخبار عنه بالجارّ والمجرور المجموع المشتقّ، الذي يفيد كونه واحدًا من فئة المخرَجين.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٨٠/١٩.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٣٥/٧.

(٣) انظر: الكشاف، ٤١٠/٤، ٤١١.

فالنصّ القرآنيّ يؤثر التعبير بالصفة المشتقّة على الفعل، ثمَّ يجعل الموصوف بها واحدًا من جمع، كقوله على لسان فرعون: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٩]، ولعلَّ السرّ في ذلك أنَّ التعبير بالفعل إنَّما يفهم وقوعه خاصَّة، أمَّا التعبير بالصفة ثمَّ جعل الموصوف بها واحدًا من جمع فإنَّه يُفهم أمرًا زائدًا على وقوعه، هو أنَّ الصفة المذكورة كالسمة ثابتة التعلّق بالموصوف، كأنَّها لقبه، وكأنَّه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة.(١)

يتبيَّن الإيثار المركَّب في الآية، الذي يبدأ بإيثار التعبير بالناسخ (لتكوننَّ) ومعموليه على التعبير الفعليّ المضارعيّ (لنخرجنك)؛ لما في فعل الكينونة من رسوخ معنى الخبر في الاسم، ثمّ يختم بإيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع المشتقّ (من المخرَجين) على المفرد (مخرجا)؛ الذي يفيد قوَّة المبالغة عن الإخبار بالمفرد (مخرجًا)، مع ما في ذلك من قوَّة التأثير والإقناع، ومراعاة التوازن الصوتيّ في الفاصلة القرآنيَّةالنونيَّة الغالبة في الآيات.

يمكن القول: إنَّ من مقتضيات الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار التعبير بالناسخ (كان) ومعموليه، دلالة الناسخ على رسوخ معنى خبره في اسمه، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عنه بالجارّ والمجرور المجموع على المفرد، تعبير كنائيّ بليغ، ووسيلة من وسائل الإقناع والتأثير، وأدلّ على قوَّة تمكُّن الخبر من المخبَر عنه، رغم أنَّ الإخبار بالمفرد أخصر من الإخبار بالمركَّب؛ لكنَّ قوَّة الدلالة تقدَّم على الاختصار.

(١) انظر: هامش الكشاف، ٤/٤١١.

كما يؤثر النصّ القرآنيّ الإخبار عن فعل الكينونة بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما يتجلَّى في التصوُّر التخاطبيّ من قوَّة تمكّن الوصف من الموصوف أو شدَّة المبالغة في إثبات الخبر للاسم، جاء ذلك في مواضع، منها:

الموضع الأوّل: قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن فعل الكينونة (يكون) بمركَّب الجارّ والمجرور (من الموقنين) على المفرد (موقنًا).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
وليكون (من الموقنين)	وليكون موقنًا

يقصد بالموقن العالم علمًا لا يقبل الشكّ، ويقصد به هنا الإيقان في معرفة الله وصفاته، وقوله: (وليكون من الموقنين) أبلغ من أن يقال: وليكون موقنًا.(١)

ففي هذا الإيثار من عدول عن الإخبار بالمفرد (موقنًا)؛ لما في الإخبار بالجارّ والمجرور من شدَّة دلالة اتِّصاف الاسم بالخبر وقوَّة التأثير والإقناع، مع مراعاة التوازن الصوتيّ في الفاصلة القرآنيَّةالنونيَّة الغالبة في الآيات السابقات (العالمين – تحشرون – مبين...) واللاحقات (الآفلين – الضالّين – المشركين ...)

الموضع الثاني: قوله: ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧﴾ [الحجر: ٧]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن فعل الكيونة بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من الصادقين) على المفرد (صادقًا) .

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٣١٦/٧.

إن كنتَ (من الصادقين)	إن كنتَ صادقًا

معنى (من الصادقين) من الذين صفتهم الصدق، وهو أقوى من أن يقال: (إن كنتَ صادقًا)[١]؛ فالتعبير بمركَّب الجارّ والمجرور (من الصادقين) أبلغ في وصف الاسم بالصدق من التعبير بالخبر المفرد (صادقًا).

كما أنَّ إيثار الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع يتوازن صوتيًّا مع الفاصلة القرآنيَّة النونيَّة الغالبة في الآيات السابقات: (مبين – مسلمين – يعلمون – يستأخرون – لمجنون)، واللاحقات: (منظَرين – لحافظون – الأولين يستزؤون – المجرمين...)

الموضع الثالث: قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ [القصص: ٤]، يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من المفسدين) على المفرد (مفسدًا)؛ لأنَّ الجارّ والمجرور أدلّ على قوَّة تمكُّن الوصف من الموصوف أو قوَّة تمكُّن الخبر في المخبر عنه.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
إنَّه كان (من المفسدين)	إنَّه كان مفسدًا

قوله: (إنَّه كان من المفسدين) علّة لتجبّره وتذبيح الأبناء؛ وليس في ذلك إلاَّ مجرد الفساد[٢]؛ لقد بيَّنت الآية أنَّ القتل ما كان إلاَّ فعل المفسدين فحسب؛ لأنَّه فعل لا طائل تحته، صدق الكاهن أو كذب.[١]

(١) انظر: المرجع السابق، ١٨/١٤.

(٢) انظر: البحر المحيط، ١٠٠/٧.

فهذه الجملة: (إنَّه كان من المفسدين) تعليل لجملة: (إنَّ فرعون علا في الأرض)، والخبر بصيغة (من المفسدين) أدلُّ على تمكُّن الوصف ممَّا لو قيل: (إنَّه كان مفسدًا)؛ لأنَّ قوله: (إنَّه كان من المفسدين) دالّ على شدَّة تمكّن الإفساد من خُلُقه، والفعل (كان) يفيد تمكَّن خبر الفعل من اسمه؛ فحصل تأكيد لمعنى تمكّن الإفساد من فرعون، أي: اشتمل فعله هذا على مفاسد عظيمة.(٢)

وبذلك يكون من مقتضيات الإيثار التركيبيّ في التعبير القرآنيّ أنَّ التركيب المؤثر المختار يرد تعليلاً للجملة السابقة.

إنَّ تصدير الجملة بـ(إنَّ) التوكيديَّة، مع مجيء الخبر (كان) ومعموليه، ثمَّ إيثار الإخبار عنه بالجارّ والمجرور، يبيّن أنَّ هذا الإيثار ينتج دلالة لا ينتجها الخبر المفرد، فالتعبير بالمفرد يوجب اتِّصاف المخبَر عنه بالخبر، بينما التعبير بالمجموع لا يوجب اتِّصاف الجميع بالخبر؛ فقد يشتركون في ذلك، وقد يوصف به بعضهم وهو المفرد المؤثر عليه؛ إنَّما آثر النصّ القرآنيّ الإخبار بالمجموع المجرور في هذه الآية لكونه يدلّ على تمكُّن الخبر من المخبر عنه وتأكيد فساده باقترانه بجمع المفسدين، كما أنَّ مركَّب الجارّ والمجرور أكثر تأثيرًا وإقناعًا.

الموضع الرابع: قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزمر: ٥٦]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن الناسخ (كنتُ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (لمن الساخرين).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه

(١) انظر: الكشّاف، ٤/٤٨٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢٠/٦٨.

وإن كنتُ (لمن الساخرين)	وإن كنتُ لساخرةً

قوله: (لمن الساخرين) أشد مبالغة في الدلالة على اتّصافهم بالسخرية من أن يقال: (وإن كنت لساخرة).[١]

ورد هذا النوع من الإيثار كثيرًا في الفواصل القرآنيَّة؛ لما في الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع من قوَّة المبالغة عن الإخبار بالمفرد، يعقب ذلك أنَّه يحدث توزنًا صوتيًّا يتوافق مع الفاصلة القرآنيَّة النونيَّة الغالبة في الآيات.

يتبيَّن أنَّ من مقتضيات إيثار فعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ أو المضارعيّ، ثمَّ إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، قوَّة المبالغة في إثبات الخبر للاسم، وقد يحتاج سياق الكلام إلى مؤكِّدات حرفيَّة، وقد لايحتاج؛ تبعًا للسياق.

٢- قوَّة المبالغة في النهي:

ورد الإيثار المركَّب في النصّ القرآنيّ ؛ الذي يبدأ بإيثار التعبير بفعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ المضارعيّ في سياق النهي، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد.

جاء ذلك في قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، يتجلَّى إيثار التركيب المصدَّر بالناسخ: (ولا تكنْ من الغافلين) على التركيب الفعلي المضارعيّ: (ولا تغفلْ) في سياق النهي؛ لدلالة فعل الكينونة على النهي عن تحقُّق معنى خبرها في اسمها، ولما في الإخبار بالجارّ والمجرور من قوَّة المبالغة في النهي.

(١) انظر: المرجع السابق، ٢٤/٤٧.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
واذكر ربَّك ... [ولا تكن (من الغافلين)]	-واذكر ربَّك ... ولا تغفلْ -واذكر ربَّك ... ولا تكن غافلاً

يدلُّ التركيب المؤثر على التحذير من الغفلة عن ذكر الله، فالخطاب للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكلّ ما خُصَّ به الرسول من الوجوب يستحسن للأمَّة اقتداؤها به فيه، وقوله: (ولا تكنْ من الغافلين) أشدّ في النهي من (ولا تغفلْ)؛ لأنَّه يفرض جماعة يحقّ عليهم وصف الغافلين فيُحذَّر من أن يكون في زمرتهم؛ وذك أبين للحالة المنهي عنها.(١)

لمَّا أمره بالذكر أكَّد ذلك بالنهي: (ولا تكنْ من الغافلين)؛ أي: التزم الذكر ولا تغفل طرفة عين، ومعلوم أنَّ النبيّ – صلَّى الله عليه وسلَّم– معصوم تستحيل عليه الغفلة؛ فالنهي له والمراد أمّته.(٢)

يؤكِّد الجملة الفعلية الأمريَّة: (واذكر ربَّك) بالاسميَّة المصدَّرة بالناسخ: (ولا تكن من الغافلين)؛ لأنَّ الفعليَّة تدلُّ على التجرّد والاسميَّة تدلّ على الثبوت؛ وبذلك يكون من مقتضات الإيثار التركيبيّ تأكيد الجملة السابقة.

فالتعبير بأسلوب النهي: (ولا تكُن من الغافلين) تأكيد للأمر السابق: (واذكر ربَّك)، ولما كانت الغفلة بعيدة عن النبيّ؛ لم يحتج الكلام إلى مؤكِّدات حرفيَّة؛ لأنَّ المخاطب يسلم بالبعد عن الغفلة، وآثر الإخبار بالمجموع المجرور للمبالغة في النهي عن الغفلة.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٢٤٢/٩.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٤٤٩/٤.

فالإيثار المركَّب يبدأ بإيثار التعبير بفعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ المضارعيّ في سياق النهي؛ تأكيدًا لما قبله، ولدلالة (كان) على نهي معنى خبرها عن اسمها، ثمَّ يختم بإيثار عن هذا الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في الجارّ والمجرور من شدَّة التأثير والإقناع عن المفرد، وكذلك هو أدلّ على قوَّة المبالغة في نهي اتِّصاف الاسم بالخبر؛ لكون المخبَر عنه واحدًا من جماعة ثبُت لهم الانتهاء عن هذا الفعل.

وفي هذا الإيثار يقدَّم الجانب الدلاليّ الكامن في الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع وطول التركيب، على ما في الإخبار بالمفرد من الاختصار، كما أنَّ الإخبار بالجارّ والمجرور يتوازن صوتيًّا مع الفاصلة القرآنيَّة النونيَّة الغالبة في الآيات.

كما يؤثر النصُّ القرآنيّ الإخبار عن فعل الكينونة بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد؛ لأنَّ الجارّ والمجرور يدلُّ على شدَّة المبالغة في النهي، جاء ذلك في مواضع، منها:

الموضع الأوَّل: قوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٤﴾ [الأنعام: ١٤]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن فعل الكينونة في سياق النهي (ولا تكونَنَّ) بالجارّ والمجرور (من المشركين) على المفرد (مشركًا).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
ولا تكونَنَّ (من المشركين)	ولا تكونَنَّ مشركًا

المعنى: وقيل لي: لا تكونَنَّ من المشركين؛ أي: أُمرت بالإسلام ونُهيت عن الشرك[١]؛ على إضمار (قيل لي)، وقيل: هو معطوف على معمول (كن) حملاً على المعنى، والمعنى قل: إنّي قيل لي: كن ممَّن أسلم ولا تكونَنَّ من المشركين، فهما جميعًا محمولان على القول، لكنَّ الأوَّل أتى بغير لفظ القول وفيه معناه فحُمل الثاني على المعنى، وقيل: هو معطوف على (قل)، أمر بأن يقول كذا ونهي عن كذا، وقيل: هو نهي عن موالاة المشركين، وقيل: الخطاب للنبيّ لفظًا والمراد أمَّته وهذا هو الظاهر لقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والعصمة تنافي إمكان الشرك.[٢]

و(مِن) تبعيضيَّة؛ أي: لا تكن من جملة الذين يشركون، ويحتمل النهي عن الانتماء للمشركين؛ أي هو أمر بالبراءة منهم؛ فتكون (مِن) اتّصاليَّة، ويكون المشركين بالمعنى اللقبيّ؛ أي الذين اشتهروا بهذا الاسم؛ المعنى: لا يكن منك شيءٌ فيه صلة بالمشركين[٣]،

وإيثار الإخبار عن فعل الكينونة بمركَّب الجارّ والمجرور (من المشركين) على الخبر المفرد (مشركًا) يفيد المبالغة في النهي؛ كما أنَّ الإخبار بالمفرد يقصره على الاسم المخاطَب وهو النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بينما الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور يفيد المبالغة في النهي؛ ويبيّن أنَّ الخطاب للنبي والمراد به أمَّته، ويؤكِّد التعبير القرآنيّ الطلب الوراد في الكينونة (ولا تكونَنَّ) بنون التوكيد الثقيلة؛ مراعاة لحال المخاطبين، كما أنَّ الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور (من المشركين) يتوازن صوتيًّا مع الفاصلة القرآنيَّة النونيَّة الغالبة في السورة.

---

(١) انظر: الكشّاف،٢/٣٢٩.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٤/٩١.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٧/١٦٠.

الموضع الثاني: قوله: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: ١٠٥]، قوله: (ولا تكونَنَّ من المشركين) نهي مؤكِّد لمعنى الأمر قبله (وأن أقم وجهك للدين حنيفًا) تصريحًا بمعنى (حنيفًا)، وتأكيد الفعل المنهي عنه بنون التوكيد للمبالغة في المنهي عنه اعتناء بالتبرّؤ من الشرك، وقوله: (مِن المشركين) أبلغ من (لا تكنْ مشركًا)؛ لما فيه من التبرّؤ من الطائفة ذات نحلة الإشراك.(١)

يؤكِّد الجملة الفعليَّة الأمريَّة: (أقم وجهك للدين حنيفًا) بالاسميَّة المصدَّرة بفعل الكينونة في سياق النهي: (ولا تكن من المشركين)؛ لأنَّ الفعليَّة تدلُّ على التجرّد والاسميَّة تدلّ على الثبوت، كما يؤكِّد النهي (ولا تكونَنَّ) بنون التوكيد الثقيلة مراعاة لحال المخاطب في سياق الكلام، فالتأكيد من وسائل الإقناع، كما أنَّ الإخبار بالجارّ والمجرور المجموع (من المشركين) يخبر أنَّ الخطاب للنبي والمراد أمَّته، وهو يتوازن صوتيًّا مع الفاصلة القرآنيَّةالنونيَّة الغالبة في الآيات السابقات: (المنتظرين – المؤمنين – من المؤمنين) واللاحقات: (من الظالمين – الحاكمين).

يستنتج ممَّا سبق أنَّ من مقتضيات إيثار فعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ المضارعيّ، ثمَّ إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، قوَّة المبالغة في النهي، وقد يحتاج سياق الكلام إلى مؤكِّدات حرفيَّة، وقد لايحتاج؛ تبعًا للسياق.

٣- قوَّة المبالغة في النفي:

ورد الإيثار المركَّب في التعبير القرآنيّ؛ الذي يبدأ بإيثار التعبير بفعل الكينونة ومعموليه في سياق النفي على التركيب الفعليّ المضارعيّ المنفيّ؛ لما للفعل (كان)

(١) انظر: المرجع السابق، ٣٠٤/١١.

ومعموليه من قوَّة المبالغة في نفي الخبر (الصفة) عن المخبَر عنه (الموصوف)، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عن هذا الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد.

ورد ذلك في قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١١]، آثر النصّ القرآنيّ استخدام التركيب المصدَّر بفعل الكينونة المنفي [لم يكن (من الساجدين)] على التركيب الفعليّ المضارعيّ المنفيّ (لم يسجد).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
[لم يكن (من الساجدين)]	-لم يسجد -لم يكن ساجدًا

إنَّ في اختيار الإخبار عن نفي سجود إبليس بجعله من غير الساجدين، إشارة إلى أنَّه انتفى عنه السجود انتفاءً شديدًا؛ لأنَّ جملة: (لم يكن فلان من المهتدين) يفيد من النفي أشدّ ممَّا تفيده جملة: (لم يكن مهتديًا)؛ ففي قوله: (لم يكن من الساجدين) إشارة إلى أنَّه لم يقدَّر لإبليس أن يكون من الطائفة الساجدين؛ أي: انتفى سجوده انتفاءً لا رجاء في حصوله بعد.[1]

وجملة: (لم يكن من الساجدين) مؤكِّدة لمعنى ما أخرجه الاستثناء من نفي سجود إبليس كقوله: (أبى واستكبر).[2]

ففي إيثار تركيب: (لم يكن من الساجدين) على التركيب الفعليّ المضارعيّ: (لم يسجد) دلالة على أنَّه لم يكتب له أن يكون مع الملائكة الساجدين؛ أو على رسوخ معنى عدم إدراج إبليس في الساجدين مسبَّقًا، ودليل ذلك تجرُّد الكلام من المؤكِّدات الحرفيَّة؛ فالأمر الذي قضي مسبّقًا لا يحتاج إلى توكيد، كما أنَّ الإخبار عن

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٨ب/٣٩.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٤/٢٧٢، ٢٧٣.

فعل الكينونة بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من الساجدين) يفيد شدَّة انتفاء هذا الخبر (الصفة) عن المخبر عنه (الموصوف).

إنَّ من مقتضيات إيثار فعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ المضارعيّ، ثمَّ إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، قوَّة المبالغة في النفي، ولا يحتاج سياق الكلام إلى مؤكِّدات حرفيَّة.

٤- قوَّة المبالغة في الأمر:

ورد الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار التعبير بفعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ الأمريّ، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عن هذا الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد.

ورد ذلك في قوله: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤]، يتجلَّى الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار افعل الكينونة ومعموليه (وكن من الشاكرين) على التعبير الفعليّ الأمريّ (فخذ ... واشكرني)، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عن هذا الناسخ الأمريّ (كُن) بالجارّ والمجرور المجموع (من الشاكرين) على المفرد (شاكرًا) .

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
فخذ ما آتيتك وكن (من الشاكرين)	-فخذ ما آتيتك واشكرني -فخذ ما آتيتك وكن شاكرًا

إنَّ الإخبار عن (كنْ) بـ(من الشاكرين) أبلغ من أن يقال: (كُن شاكرًا)[1]، أو أبلغ من أن يقال: (فخذ ما آتيتك واشكر)، بعطف جملة فعليَّة أمريَّة (واشكر) على مثلها(فخذ).

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٩/٩٥.

فإيثار التعبير بفعل الكينونة (كن) يدلُّ على رسوخ معنى خبره في اسمه (المخبر عنه)، كما أنَّ إيثار الإخبار عنه بالجارّ والمجرور (من الشاكرين) أبلغ من الإخبار بالمفرد (شاكرًا)، وهو يؤكِّد الجملة الفعلية الأمريَّة (فخذ ما آتيتك) بالاسميَّة المصدَّرة بفعل الكينونة (وكن من الشاكرين)؛ لأنَّ الفعليَّة تدلُّ على التجرّد والاسميَّة تدلّ على الثبوت.

يستنتج ممَّا سبق أنَّ من مقتضيات إيثار فعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ الأمريّ، ثمَّ إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، قوَّة المبالغة في الأمر، ولا يحتاج سياق الكلام إلى مؤكِّدات حرفيَّة.

٥- التعريض بغير المخاطب (التهييج والإلهاب):

ورد الإيثار المركَّب، الذي يبدأ بإيثار التعبير بفعل الكينونة ومعموليه على التركيب الفعليّ المضارعيّ، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عن هذا الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد.

ورد ذلك في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣]، يتجلَّى إيثار فعل الكينونة ومعموليه في جواب النهي المقترن بالفاء (فتكون من المعذَّبين) على التركيب الفعليّ المضارعيّ (فتعذَّب)؛ لما للناسخ (كان) في هذا الموضع من رسوخ جواب الطلب (وقوع التعذيب على من يدعو مع الله إلهًا آخر)، ولما في خبرها الجارّ والمحرور المجموع (من المعذَّبين) من التعريض بغير المخاطب، وهذا لا يتوافر في الإخبار بالمفرد (معذبًا).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
فتكون (من المعذَّبين)	– فتعذَّب – فتكون معذَّبًا

الخطاب في قوله: (فلا تدعُ مع الله إلهًا آخر) في الحقيقة للسامع؛ لأنَّه الله علم أنَّ ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول؛ ولذلك فالمعنى قل يا محمّد لمن كفر: (ولا تدع مع الله إلهًا آخر)[١]، فالله يعلم أنَّ ذلك ليس للنبيّ، لكنَّه أراد ان يحرّك منه لازدياد الإخلاص والتقوى، وفيه لطف للمكلّفين جميعًا.[٢]

فالخطاب يجوز أن يكون لغير معيَّن؛ يعمّ السامعين جميعًا، ويجوز أن يكون للنبيّ لأنَّه المبلِّغ عن ربِّه؛ فللاهتمام بهذا النهي وجِّه إلى النبيّ مع تحقُّق انتهائه عن ذلك؛ فتعيَّن أن يكون النهي للمتلبّسين بالإشراك، والمقصود بالخطاب غيره ممَّن يبلُغُه الخطاب؛ أي: فلا تدعوا مع الله إلهًا آخر فتكونوا من المعذَّبين، وفيه تعريض بالمشركين أنَّهم سيعذَّبون للعلم بأنَّ النبيّ وأصحابه غير مشركين.[٣]

دلَّ التعبير المؤثر على أنَّ الخطاب (فتكون من المعذَّبين) للنبيّ ويراد به التعريض بغيره، ولو خوطب بصيغة المفرد (فتكون معذَّبًا) فما أُفهم هذا المعنى.

كما يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار عن الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في ذلك من التعريض بغير المخاطَب، جاء ذلك في مواضع، منها:

الموضع الأوّل: قوله: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ [البقرة: ١٤٧]، آثر النصّ القرآنيّ الإخبار عن الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من الممترَين) على المفرد (ممترًا)؛ تعريضًا بغير المخاطَب.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه

(١) انظر: البحر المحيط، ٤٣/٧.

(٢) انظر: الكشّاف، ٤١٩/٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٢٠٠/١٩.

فلا تكونَّ (من الممترين)	فلا تكونَنَّ ممترًا

يُقصد بالممترين الشاكّين في كتمانهم الحقّ مع علمهم أو الشاكّين في أنَّه من ربَّك[١]، فالخطاب للنبيّ والمقصود نهي أمَّته، وجاء الخطاب للنبيّ؛ لأنَّه أقرب الخلق لله وأولاهم بكرامته، وفي ذلك دليل على أنَّ من وقع في مثل ذلك من الأمَّة حقَّت عليه كلمة العذاب، ويجوز أن يكون الخطاب للنبيّ ينحصر في قوله: (من ربِّك)، ويكون قوله: (فلا تكونَّ من الممترين) خطابًا لغير معيَّن؛ فيعمَّ كلَّ من يصلح مخاطبته بهذا الخطاب.[٢]

فالمعني بهذا الخطاب هو الأمَّة، ودلّ الممترين على وجودهم، ونهي أن يكون منهم، والنهي عن كونه منهم أبلغ من النهي عن تلك الصفة؛ إذ النهي عن الكون على صفة يدلّ بالوضع على عموم الأكوان المستقبلة على تلك الصفة، ويلزم من ذلك عموم تلك الصفة، والنهي عن الصفة يدلّ بالوضع على عموم تلك الصفة فقط، وفرق بين ما يدلّ على عموم ويستلزم عمومًا وبين ما يدلّ على عموم فقط؛ فلذاك أكثر النهي عن الكون لأنَّه أبلغ، وأكّده بالنون المشدَّدة مبالغة في النهي؛ أي: فلا تكوننّ من الذين يشكّون في الحقّ؛ لأنّ ما جاء من الله لا يمكن أن يقع فيه شكّ؛ إذ هو الحقّ المحض الذي لا يمكن أن يخالطه ريب ولا شكّ.[٣]

ويؤكِّد التعبير القرآنيّ الطلب الوراد في الكينونة (فلا تكونَنَّ) بنون التوكيد الثقيلة مراعاة لحال المخاطب في سياق الكلام؛ لأنَّ الخطاب للنبيّ والمقصود به غيره، فاحتاج الكلام إلى التأكيد الحرفيّ، كما أنَّ إيثار الإخبار بالجارّ والمجرور

---

(١) انظر: الكشّاف،١/٣٤٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير،٢/١٤٨.

(٣) انظر: البحر المحيط،١/٦١٠.

المجموع (من الممترين) يتوازن صوتيًّا مع الفاصلة القرآنيَّةالنونيَّة الغالبة في السورة.

فإيثار القرآن الإخبار عن فعل الكينونة بالجارّ والمجرور (من الممترين)؛ لأنَّ المقصود بالخطاب التعريض بغير المخاطب وهم جماعة يناسبهم المجموع (الممترين)، ودليل ذلك توكيد الفعل، وقوله في الآية السابقة عن هؤلاء: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦]

الموضع الثاني: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١١٤﴾ [الأنعام: ١١٤]، قيل: الخطاب في قوله: (فلا تكونَّ من الممتَرين) للرسول خطاب لأمّته، وقيل: لكلِّ سامع إذا ظهرت الدلالة فلا ينبغي أن يمترى فيه، وقيل: هو من باب التهييج والإلهاب.(١)

فالخطاب يحتمل أن يكون للنبيّ؛ فيكون التفريع على قوله: (يعلمون أنَّه منزَّل من ربّك بالحقّ)؛ أي: فلا تكن من الشاكّين في أنَّهم يعلمون ذلك. والمقصود تأكيد الخبر، فالامتراء المنفي هو الامتراء في أنّ أهل الكتاب يعلمون ذلك؛ لأنَّ غريبًا اجتماع علمهم وكفرهم به، ويجوز أن يكون الخطاب لغير معيّن ليعمَّ كلَّ من يحتاج إلى مثل هذا الخطاب؛ أي: فلا تكونَّ أيّها السامع من الشاكّين في كون القرآن من عند الله؛ فيكون التفريع على قوله: (مُنزَّلٌ من ربِّك بالحقّ)؛ أي: هذا أمر قد اتَّضح فلا تكونَّ من الممترين فيه، ويحتمل أن يكون الخطاب للنبيّ والمقصود المشركون الممترون على التعريض، نحو: إيَّاك أعني فاسمعي يا جارة، وهذا أحسن الوجوه، والتفريع فيه كالوجه الثاني على قوله: (مُنزَّلٌ من ربِّك بالحقّ)، وعلى الوجوه الثلاثة

(١) انظر: البحر المحيط،٤/٢١٢.

كلّها كان حذف متعلّق الامتراء لظهوره من المقام تعويلاً على القرينة، وهذه الوجوه غير متعارضة؛ ولذلك صحَّ أن يكون جميعها مقصودًا من الآية لتذهب أفهام السامعين إلى ما نتوصّل إليه منها، وهذا من مقاصد إيجاز القرآن وهو معنى الكلام الجامع وهو من خصائص القرآن.(١)

فقوله: (فلا تكوننَّ من الممتَرين) من باب التهييج والإلهاب؛ المعنى: فلا تكوننَّ من الشاكّين في أنَّ أهل الكتاب يعلمون أنَّه منزَّل من ربِّك بالحقّ، ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم له، ويجوز أن يكون (فلا تكوننَّ) خطابا لكلِّ واحد على معنى أنَّه إذا تعاضدت الأدلَّة على صحَّته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد، وقيل: الخطاب لرسول الله خطابًا لأمَّته.(٢)

فالنهي (فلا تكوننَّ من الممترين) للنبيّ عن الامتراء –وجلّ النبيّ أن يكون ممتريًا– إنَّما هو من باب التهييج والإلهاب لزيادة الثبات والطمأنينة، وأن يكون لطفًا بغيره.(٣)

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ إيثار الإخبار عن (تكوننَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من الممترين) على المفرد (ممترًا)؛ لما في ذلك المجموع المجرور من التعريض بغير المخاطب، والمعرَّض بهم هم أهل الكتاب الشاكِّين في كون القرآن من عند الله.

الموضع الثالث: قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ٣]، يتجلّى إيثار الإخبار عن فعل الكينونة

(١) انظر: التحرير والتنوير،١٨/أ١٧.

(٢) انظر: الكشّاف،٢/٣٨٩، ٣٩٠.

(٣) انظر: المرجع السابق،١/٥٦٤.

(كنتَ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من الغافلين) على المفرد (غافلاً)؛ لأنَّ الخطاب للنبيّ ويقصد به التعريض بغيره، ولو جاء الخطاب بصيغة المفرد ما فُهم هذا المعنى.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
وإن كنتَ من قبله (لمن الغافلين)	وإن كنت من قبله غافلاً

ومعنى (من الغافلين) لم يكن لك شعور بهذه القصة ولا سبق لك علم فيها قط، ولا طرق سمعك طرف منها[١]؛ ونُكتة جعل النبيّ من الغافلين دون أن يوصف وحده بالغفلة للإشارة إلى تفضيله بالقرآن على كلّ من لم ينتفع بالقرآن فدخل في هذا الفضل أصحابه والمسلمون على تفاوت مراتبهم في العلم، وقوله: (من قبله) مقصود منه التعريض بالمشركين المعرِضين عن هدي القرآن.[٢]

يتبيَّن ممَّا سبق إيثار الإخبار بالجارّ والمجرور المجموع (لمن الغافلين) على المفرد (غافلاً)؛ لما في التعبير المؤثر من التعريض بغير المخاطَب، وهذا يقتضي توكيد الخبر باللام (لمن الغافلين) مراعاة لحال المخاطب في سياق الكلام، وقد قدَّم (من قبله) وأخَّر التركيب المؤثر (من الغافلين) للتوازن الصوتيّ مع الفواصل القرآنيَّة في السورة.

كما أنَّ إيثار الإخبار عن فعل الكينونة بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد يفصح عن أمر لا ينتجه التعبير بالمفرد؛ لأنَّ التعبير بالمفرد يوجب وصف المخاطب بالخبر في بعض المواضع، بينما التعبير بالمجموع المجرور لا يوجب

---

(١) انظر: البحر المحيط، ٥/٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ١٢/٢٠٤.

وصف المخاطب بالخبر، إنَّما يفيد قيام الآخرين بالخبر في هذه المواضع؛ فيكون تعريضًا بغيره.

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ من مقتضيات إيثار الإخبار عن فعل الكينونة بالجارّ والمجرور المجموع على المفرد، التعريض بغير المخاطب في الصفات التي يوصف بها غيره: كالتعذيب، والامتراء، والغفلة، في قوله: (من المعذَّبين – من المتترين – من الغافلين)، وهذا لا يفيده الإخبار بالمفرد.

٦- التعريض بغير المتكلِّم:

يؤثر النصُّ القرآنيّ الإيثار المركَّب، الذي يبدأ بإيثار التعبير بفعل الكينونة ومعموليه على التعبير الفعليّ المضارعيّ، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد.

ورد ذلك في قوله: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٦٧]، يتجلَّى الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار التعبير بـ(أكون) ومعموليها (أن أكون من الجاهلين) على التركيب الفعليّ المضارعيّ (أن أجهل)، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من الجاهلين) على المفرد (جاهلاً)؛ لأنَّ التعبير بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع المشتقّ تعريض بغير المتكلِّم.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
قال أعوذ بالله [أن أكون (من الجاهلين)]	– قال أعوذ بالله أن أجهل – قال أعوذ بالله أن أكون جاهلاً

قول موسى (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) فيه تصريح أنَّ ثمَّ جاهلين استعاذ بالله أن يكون منهم، وفيه تعريض أنَّهم جاهلون، كأنَّه قال: أن أكون منكم[1]؛

(١) انظر: البحر المحيط، ٤١٥/١.

ففيه تبرؤ وتنزّه عن الهُزْء؛ لأنَّه لا يليق بالعقلاء، وهو أخصُّ من المَزْح؛ لأنَّ في الهزء مزحًا مع استخفاف واحتقار للممزوح معه، وهو لا يليق بمقام الرسول؛ ولذا تبرَّأ منه موسى فنفى عن نفسه أن يكون من الجاهلين، وهذا التعبير كناية عن نفي المزح بنفي ملزومه، وقد بالغ في التنزّه بقوله: (أعوذ بالله)؛ لأنَّ العياذ بالله أبلغ كلمات النفي، فالمرء لا يستعيذ بالله إلاَّ إذا أراد التغلّب على أمر عظيم، وصيغة (أن أكون من الجاهلين) أبلغ في انتفاء الجهالة من (أَعوذ بالله أن أجهل).[1]

فكان إيثار التعبير بـ(كان) ومعموليها (أن أكون من الجاهلين) على التعبير الفعليّ المضارعيّ (أن أجهل)؛ لما في فعل الكينونة من رسوخ معنى الخبر في الاسم، مع إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في ذلك من التعريض بقومه.

وجاء الكلام مجرَّدًا من المؤكِّدات الحرفيَّة؛ لأنَّ السياق لا يحتاج إلى توكيد، وهو إيثار مركَّب بليغ مؤثِّر مقنع، يراعي التوازن الصوتيّ في الفاصلة القرآنيَّة النونيَّة الغالبة في الآيات السابقات: (الخاسرين – خاسئين – للمتقين...) واللاحقات: (تؤمَرون – الناظرين – لمهتدون...)

كما يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار عن فعل الكينونة بالجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في ذلك من التعريض بغير المتكلِّم، وهذا لا يفيده الإخبار بالمفرد، جاء ذلك في مواضع، منها:

الموضع الأوَّل: قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنعام: ٧٧]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن (لأكوننَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من القوم الضالّين) على المفرد (ضالاً).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٥٤٨/١.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
لأكوننَّ (من القوم الضالّين)	لأكوننَّ ضالاً

يقصد بالقوم الضالين عبدة المخلوقات كالأصنام وغيرها[١]، وجملة: (لئن لم يهدني ربّي) تنبيه لقومه على أنّ من اتَّخذ القمر إلهًا فهو ضالّ، وأنّ الهداية إلى الحقّ بتوفيق الله ولطفه. [٢]

أراد تنبيه قومه للنظر في معرفة الربّ الحقّ وأنَّه واحد، وأنَّ الكواكب والقمر لا يستحقَّان ذلك، مع أنَّه عرَّض في كلامه بأنَّ له ربًّا يهديه وهم لا ينكرون عليه ذلك؛ لأنَّهم قائلون بعدَّة أرباب، وفي هذا تهيئة لنفوس قومه لما عزم عليه من التصريح بأنَّ له ربًّا غير الكواكب، ثمَّ عرَّض بقومه أنَّهم ضالُّون وهيَّأهم قبل المصارحة للعلم بأنَّهم ضالّون؛ لأنَّ قوله: (لأكوننَّ من القوم الضالّين) يدخل في نفوسهم الشكّ في معتقدهم أن يكون ضلالاً، ولأجل هذا التعريض لم يقل: لأكوننَّ ضالاً؛ وقال: (لأكوننَّ من الضالّين) ليشير إلى أنَّ في الناس قومًا ضالّين، هم قومه.[٣]

فإيثار الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع الموصوف (من القوم الضالّين)؛ للتعريض بقومه؛ حيث ينبههم بوجود ضالّين في الناس هم منهم؛ فللإيثار مقتضى دلاليّ جليّ.

ويؤكِّد التعبير القرآنيّ ذلك بمؤكّدين هما: (اللام ونون التوكيد الثقيلة)؛ حيث يحتاج المتكلِّم إلى تأكيد كلامه؛ مراعاة لحال السامعين في سياق الكلام؛ لإزالة الشكّ

(١) انظر: البحر المحيط، ١٧٢/٤.
(٢) انظر: الكشاف، ٣٦٦/٢.
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٣٢٢/٧.

عنهم في أنَّ من اتَّخذ القمر إلهًا سيكون في زمرة الضالين الذين فعلوا ذلك؛ فاحتاج الكلام إلى مؤكّدين حرفيين هما: اللام، ونون التوكيد الثقيلة.

كما أنَّ المجموع الموصوف (من القوم الضالّين) يناسب قومه الذي يضلون باتّخاذ القمر والكواكب آلهة يعبدونها من دون الله، ففي التعبير المؤثر وما أُكِّد به من اللام والنون المشدَّدة تعريض جليّ بغير المتكلِّم، وضرب ناصع من التأثير والإقناع.

الموضع الثاني: قوله: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف: ٣٣]، يتجلَّى الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (وأكن من الجاهلين) على المفرد؛ لما فيه من المبالغة أكثر من المفرد (وأكن جاهلاً).(١)

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
أصبُ إليهنَّ وأكن (من الجاهلين)	أصبُ إليهنَّ وأكن جاهلاً

معنى (من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون؛ لأنَّ من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء الذين يقعون في موافقة النساء والميل إليهنّ.(٢)

يستنتج ممَّا سبق أنَّ من مقتضيات إيثار الإخبار عن فعل الكينونة بالجارّ والمجرور المجموع على المفرد، التعريض بغير المتكلِّم في الصفات التي يوصف بها غيره كالجهل والضلال، في قوله: (من الضالين –من الجاهلين)، وهذا لا يفيده الإخبار بالمفرد.

٧- تشريف غير المتكلِّم:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٢٦٦/١٢.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٣٠٦/٥.

يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار عن الفعل الناسخ بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في ذلك من تشريف غير المتكلِّم.

ورد ذلك في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٠٤﴾ [يونس: ١٠٤]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن فعل الكينونة (أكون) بالجارّ والمجرور المجموع (من المؤمنين) على المفرد (مؤمنًا)؛ لتشريف المؤمنين بكون المخاطب النبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- واحدًا منهم.

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
وأُمرت أن أكون (من المؤمنين)	وأُمرت أن أكون مؤمنًا

أريد بالمؤمنين عقائب هذا اللقب الذين آمنوا بالله ورسوله والقرآن والبعث، فإذا أطلق لفظ المؤمنين انصرف الذهن إلى القوم الذين اتَّصفوا بالإسلام؛ ولذلك لا يقدر للمؤمنين متعلّق، وفي جعل النبيّ من جملة المؤمنين تشريفا لهذا المجموع.(١)

لمَّا ذكر أنَّه يعبد الله وكانت العبادة أغلب ما عليها عمل الجوارح أخبر أنَّه أمر بأن يكون من المصدّقين بالله، الموحّدين له، المفردين له بالعبادة، وانتقل من عمل الجوارح إلى نور المعرفة وطابق الباطن الظاهر.(٢)

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ من مقتضيات إيثار الإخبار عن فعل الكينونة بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من المؤمنين) على المفرد (مؤمنًا)، تشريف غير المتكلِّم من المؤمنين، وسياق الكلام واضح جليّ لا يحتاج إلى مؤكِّدات حرفيَّة.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٣٠٢/١١.

(٢) انظر: البحر المحيط، ١٩٥/٥.

٨- الإيجاز البديع:

يؤثر النصُّ القرآنيّ الإيثار المركَّب، الذي يبدأ بإيثار فعل الكينونة ومعموليه على التعبير الفعليّ الماضويّ، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد.

ورد ذلك في قوله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود: ٤٣]، يتجلَّى الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار فعل الكينونة ومعموليه (فكان من المغرَقين) على التركيب الفعليّ الماضوي (فغرِق)، ثمَّ ينتهي بإيثار الإخبار عن فعل الكينونة بالجارّ والمجرور المجموع (من المغرَقين) على المفرد (مغرقًا).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
وحال بينهما الموج [فكان (من المؤمنين)]	– وحال بينهما الموج فغرِق – وحال بينهما الموج فكان مغرقًا

أفاد قوله: (فكان من المغرَقين) الإيجاز البديع؛ لأنَّ المعنى: غرِق وغرِق معه من توعّده بالغرق[1] وهذا المعنى لا يفيده التعبير الفعليّ الماضويّ (فغرِق).

فإيثار تركيب فعل الكينونة الناسخ ومعموليه (فكان من المغرَقين) على الجملة الفعليَّة الماضويَّة (فغرِق) من أجل الإيجاز البديع، وهذا الإيجاز لا يؤدّيه التركيب الفعليّ (غرق)؛ إنَّما يناسبه فعل الكينونة الذي يدلّ على رسوخ الخبر في الاسم، مع إيثار الإخبار عن الناسخ بالجارّ والمجرور (من المغرَقين)، الذي يفيد شدَّة اتِّصاف الاسم بالخبر، أو تمكُّن الخبر في الاسم المخبَر عنه، وسياق الكلام واضح جليّ لا يحتاج إلى مؤكِّدات حرفيَّة.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٢/٧٧.

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ من مقتضيات إيثار فعل الكينونة ومعموليه، ثمَّ إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، الإيجاز البديع، ولا يحتاج سياق الكلام إلى مؤكِّدات حرفيَّة.

المبحث الثاني

إيثار الناسخ (إنَّ) والإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور

ورد في النصُّ القرآنيّ الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار (إنَّ) الناسخ التأكيديّ ومعموليه على التركيب الفعليّ المضارعيّ أو الماضويّ؛ لما فيه من إفادة التأكيد، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لمقتضيات دلاليَّة وسياقيَّة في الفاصلة القرآنيَّة، منها: قوَّة دلالة الجارّ والمجرور على قوَّة المبالغة في إثبات الخبر للاسم أو تمكُّنه فيه، والتعريض بغير المتكلِّم أو المخاطَب، وتشريف المخاطَب والتعريض بغيره ...

جاء في شرح الرضيّ أنَّ (إنَّ وأنَّ) تشبه مطلق الفعل؛ لأنَّها بمعنى حقَّقت وأكَّدت[1]، فـ(إنَّ) مكسورة الهمزة تؤكِّد معنى الجملة، والتوكيد تقوية الثابت لا تغيير المعنى؛ أي هي موضوعة لتأكيد معنى الجملة فقط، غير مغيرة لها.

وقد آثر النصّ القرآنيّ (إنَّ) ومعموليه على التركيب الفعليّ، وكذلك الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع المشتقّ على المفرد؛ لمقتضيات دلاليَّة وسياقية وبلاغيَّة، هي:

١- قوَّة المبالغة في الإثبات:

يبدأ الإيثار المركَّب بإيثار التعبير بالناسخ (إنَّ) ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ؛ لما في هذا الناسخ من إفادة التأكيد، ثمَّ يُختم بإيثار الإخبار عنه بمركَّب (الجارّ والمجرور) المجموع على المفرد؛ لما في الجارّ والمجرور المجموع من دلالة على شدَّة إثبات الخبر للاسم، أو قوَّة تمكّن الوصف (الخبر) من الموصوف (الاسم المخبر عنه)، جاء ذلك في مواضع، منها:

---

(١) انظر: شرح الرضيّ، ٣٣١/٤.

الموضع الأوّل: قوله: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: ١٣]، من يتدبَّر الاية يدرك إيثار (إنَّ) الناسخة المؤكِّدة ومعموليها (إنَّك من الصاغرين) في سياق الذمّ على التركيب الفعليّ الماضويّ (قد صَغُرت)، ثمَّ إيثار الإخبار عن (إنَّ) بالجارّ والمجرور المجموع (من الصاغرين) على المفرد (صاغرٌ).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
فاخرج [إنَّك (من الصاغرين)]	- فاخرج قد صَغُرت - فاخرج إنَّك صاغرٌ

المعنى: فاخرج إنَّك من أهل الصَّغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبُّرك؛ وذلك أنَّه لما أظهر الاستكبار أُلبِس الاستصغار.(١)

فمقتضى إيثار التركيب (إنَّك من الصاغرين) على التعبير التركيب الفعليّ الماضويّ (قد صَغُرت)؛ إفادة (إنَّ) التأكيد، ومقتضى إيثار الإخبار بالجارّ والمجرور (من الصاغرين) على المفرد (صاغرٌ)؛ أنَّ الجارّ أشدّ في إثبات الصَّغار للمخاطَب، والصاغر المتَّصف بالصَّغار أي الذلّ والحقارة، وهو صغار الغَواية؛ لقوله بعده: (فبما أغويتني).(٢)

فإيثار التعبير بـ(إنَّ) على التركيب الفعليّ الماضويّ (صغرت)، لما في (إنَّ) من إفادة التوكيد، وإيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في التعبير المؤثر من قوَّة المبالغة في إثبات الخبر للاسم.

الموضع الثاني: قوله: ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥﴾ [الأعراف: ١٤- ١٥]، يتجلَّى الإيثار المركَّب الذي يبدأ بإيثار الناسخ (إنَّ) ومعموليه (إنَّك من

(١) انظر: الكشّاف، ٢/٤٢٦.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٨ب/٤٥.

المنظَرين) على التركيب الفعليّ الماضويّ (أنظرتُك) إجابة عن قوله: (قال أنظرني إلى يوم يبعثون)، ثمَّ يختم بإيثار الإخبار عن الناسخ بالجارّ والمجرور (من المنظَرين) على المفرد (منظرٌ).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
قال إنَّك (من المنظَرين)	– قال أنظرتك – قال إنَّك منظرٌ

بعد امتناع إبليس عن أن يكون من الساجدين، سأل الله النظرة والإبقاء حيًّا إلى يوم البعث، وكان طلبه هذا بتقدير الله وعلمه، فقال له: (إنَّك من المنظَرين)؛ أي: من المخلوقات الباقية، وأفاد التأكيد بـ(إنَّ) والإخبار بصيغة: (من المنظَرين) أنَّ إنظاره قد قضاه الله وقدَّره قبل سؤاله؛ أي: تحقَّق كونك من الفريق الذين أُنظروا إلى يوم البعث؛ فكشف لإبليس أنَّه بعض من جملة المنظَرين من قبل حدوث المعصية منه؛ فجواب الله لإبليس إخبار عن أمر تحقَّق وليس إجابة لطلبه؛ لأنَّه أهون على الله من أن يجيب له طلبًا، ودليل ذلك العدول عن أن يكون الجواب (أنظرتك)؛ ولكنَّه أعلمه أنَّ ما سأله أمر حاصل.(١)

آثر النصّ القرآنيّ التعبير بـ(إنَّك من المنظرين) على التركيب الفعليّ الماضويّ (أنظرتك)، لما في (إنَّ) من إفادة التوكيد، ثمّ آثر الإخبار عن (إنَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من المنظرين) على المفرد؛ لما في التعبير المؤثر من قوَّة المبالغة في إثبات الخبر للاسم قبل طلب المخاطب له؛ إذ يفيد(من المنظرين) كونه واحدًا من جماعة المنظرين الذي أنظرهم الله ليوم القيامة، وسياق الكلام لا يحتاج إلى مؤكِّدات حرفيَّة.

(١) انظر: المرجع السابق، ٨ب/٤٦.

كما يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار عن (إنَّ) الناسخة المؤكِّدة بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في الجارّ والمجرور من الدلالة على شدَّة إثبات الخبر للاسم، أو قوَّة تمكّن الوصف (الخبر) من الموصوف (المخبر عنه)، جاء ذلك في مواضع، منها:

الموضع الأوَّل: قوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١﴾ [القصص: ٣١]، جاء خبر (إنَّ) في صورة مركَّب الجارّ والمجرور المجموع (من الآمنين) دون المفرد (إنَّك آمنٌ).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
يا موسى أقبل ولا تخف إنَّك (من الآمنين)	يا موسى أقبل ولا تخف إنَّك آمنٌ

قوله: (إنَّك من الآمنين) تأكيد لِمُفاد (ولا تخفْ)، وفيه زيادة تحقيق أمنه بما دلَّ عليه التأكيد بـ(إنَّ)، وجعله من جملة الآمنين أشدّ في تحقيق الأمن من أن يقال: (إنَّك آمن).(١)

الموضع الثاني: قوله: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمۡ مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨﴾ [الشعراء: ١٦٨]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن (إنَّ) الناسخة المؤكِّدة بالجارّ والمجرور المجموع (من القالين) على المفرد (قالٍ).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
إنّي لعملكم (من القالين)	إنّي لعملكم قالٌ

قوله: (من القالين) أبلغ في الوصف من: إنّي لعملكم قالٍ، فعندما يقول قائل: فلانٌ من العلماء، أبلغ من قوله: فلانٌ عالمٌ؛ لأنّ في ذلك شهادة له بأنَّه معدود في

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١١٣/٢٠.

زمرتهم، ومعروفة مشاركته لهم في العلم، والقلي: البغض الشديد كأنَّه بغض يقلي الكَبِد والفؤاد قليًا.(١)

يدلّ تركيب (من القالين) على أنَّه يبغض هذا الفعل ناس غيره هو بعضهم، ونبَّه ذلك على أنَّ هذا الفعل موجب للبغض حتى يبغضه الناس، وهو أبلغ في الوصف من (قالٍ)؛ لأمرين، أوَّلهما: أنّ الناس يبغضونه، وآخرهما: لتضمّنه أنه معدود ممَّن يبغضه.(٢)

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ من مقتضيات إيثار (إنَّ) ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ، ثمَّ إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، قوَّة المبالغة في إثبات الخبر للاسم و(إنَّ) التأكيديَّة تؤكّد ذلك.

٢- التعريض بغير المخاطب (التهييج والإلهاب):

يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار عن الناسخ (إنَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في ذلك من التعريض بغير المخاطب.

ورد ذلك في قوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة: ١٤٥]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن (إنَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (لمن الظالمين) على المفرد (ظالمٌ).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
إنَّك إذا (لمن الظالمين)	إنّك إذا ظالمٌ

(١) انظر: الكشاف، ٤/٤١١.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٧/٣٥.

قوله: (لمن الظالمين) أقوى دلالة على الاتِّصاف بالظلم من إنَّك ظالمٌ[1]؛ أي: إنَّك إذًا لمن المرتكبين الظلم الفاحش، وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير، واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتَّبع الهوى، وتهييج وإلهاب للثبات على الحقّ.[2]

فالتعبير القرآنيّ آثر الإخبار بالجارّ والمجرور المجموع (لمن الظالمين) على المفرد المرفوع (ظالم)؛ لما في الجارّ والمجرو المجموع من التعريض بالذين أوتوا الكتاب؛ ولذلك أكَّده بثلاثة مؤكِّدات، هي: إنَّ، وإذًا، واللام.

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ من مقتضيات إيثار الإخبار عن (إنَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، التهييج والإلهاب أو التعريض بغير المخاطب في صفة (الظلم)، و(إنَّ) تؤكّد ذلك.

٣- التعريض بغير المتكلِّم:

يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار عن الناسخ (إنَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في ذلك من التعريض بغير المتكلِّم.

ورد ذلك في قوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [هود: ٣١]، يظهر إيثار الإخبار عن (إنَّ) الناسخة بالجارّ والمجرور (لمن الظالمين) على المفرد (ظالمٌ).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
إنِّي إذا (لمن الظالمين)	إنِّي إذا ظالمٌ

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٣٨/٢.

(٢) انظر: الكشّاف، ٣٤٤/١.

آثر الإخبار عن (إنَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور لأنَّ قوله: (لمن الظالمين) أبلغ في إثبات الظلم من (إنّي ظالمٌ)، وقد أكَّده بثلاثة مؤكِّدات، هي: إنَّ وإذًا ولام الابتداء؛ تحقيقًا لظلم الذين رموا المؤمنين بالرذالة وسلبوا الفضل عنهم؛ لأنَّه أراد التعريض بقومه في ذلك.(١)

آثر القرآن الإخبار عن (إنَّ) بالجارّ والمجرور المجموع (لمن الظالمين) على المفرد (ظالمٌ)؛ لما في التعبير المؤثر من التعريض بغير المتكلِّم؛ ولذلك أكَّده بـ(إنَّ) واللام.

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ من مقتضيات إيثار الإخبار عن (إنَّ) بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، التعريض بغير المتكلّم في صفة (الظلم)، و(إنَّ) تؤكّد ذلك.

٤- تشريف المخاطَب والتعريض بغيره:

يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار عن الناسخ (إنَّ) بمركَب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في ذلك من تشريف المخاطَب والتعريض بغيره، جاء ذلك في مواضع، منها:

الموضع الأوَّل: قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [البقرة: ٢٥٢]، يتجلَّى إيثار الإخبار عن (إنَّ) الناسخة بمركَّب الجارّ والمجرور (لمن المرسلين) على المفرد (مرسَلٌ).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
وإنَّك (لمن المرسَلين)	وإنّك مرسَلٌ/ رسول

(١) انظر: التحرير والتنوير، ١٢/٥٩.

الخطاب في قوله: (وإنَّك لمن المرسَلين) للرسول رفعة لشأنه وتثبيتًا لقلبه، وتعريضًا بالمنكرين رسالته، وتأكيد الجملة بـ(إنَّ) للاهتمام بالخبر، وآثر الإخبار بالجارّ والمجرور (لمن المرَسلين) على المفرد (مرسل / رسول)؛ للردّ على المنكرين بتذكيرهم أنَّه ما كان بدعًا من الرسل، وأنَّه أرسله كما أرسل من قبله، وليس في حاله ما ينقُص عن أحوالهم.(١)

لمَّا ذكر الله أنَّه تلا الآيات على نبيه، أعلم أنَّه من المرسلين، وأكَّد ذلك بأنَّ واللام، أي: من جملة المرسلين الذين تقدَّموه في الزمان.(٢)

فإيثار الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع (لمن المرسلين) على المفرد يخبر باتِّصاف المخبر عنه بالخبر في المفرد والمجموع معًا؛ وفيه رفعة للمخاطب وتشريف للمرسلين جميعًا، وتعريض بالمشركين الذين أنكروا الرسالة؛ ولذلك أكَّده بثلاثة مؤكِّدات، هي: القسم، وإنَّ، واللام.

الموضع الثاني: قوله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ [يس: ١-٣]، يتجلّى إيثار الإخبار عن (إنَّ) التأكيديَّة بالجارّ والمجرور المجموع (من المرسلين).

التعبير القرآنيّ المؤثر (المختار)	التعبير المؤثر عليه
وإنَّك (لمن المرسَلين)	وإنّك مرسَلٌ / رسولٌ

أكَّد الخبر الوارد في جملة جواب القسم (وإنَّك لمن المرسَلين) بثلاثة مؤكِّدات، هي: القَسَم، وحرف التأكيد، ولام الابتداء؛ لتأنيس النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٥٠٣/٣.

(٢) انظر: البحر المحيط، ٢٨٠/٢.

والتعريض بالمشركين الذين كذَّبوا بالرسالة؛ فالتأكيد زيادة تقرير للنبيّ والمعنى الكنائيّ يراد منه ردّ إنكار المشركين.[١]

يتبيَّن ممَّا سبق أنَّ التعبير القرآنيّ يؤثر الإخبار عن (إنَّ) بالجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما في التعبير المؤثر من تشريف المتكلِّم والتعريض بغيره؛ ولذلك أكَّده بمؤكّدين حرفيين، هما: (إنَّ)، واللام.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ٢٢/٣٤٥، ٣٤٦.

النتائج:

حفل التعبير القرآنيّ بنوعين من الإيثار التركيبيّ في الفاصلة القرآنيَّة، أوَّلهما: الإيثار المركَّب الذي يُعنى به إيثار تركيب على تركيب آخر، كإيثار الناسخ (الفعليّ أو الاسميّ) ومعموليه على التركيب الفعليّ الماضويّ أو المضارعيّ أو الأمريّ، وآخرهما: إيثار مركَّب على مفرد، كإيثار الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لمقتضيات دلاليَّة وسياقيَّة لا تتوافر في التعبير المؤثر عليه، يعقبها توازن صوتيّ مع الفاصلة القرآنيَّة.

يؤثر النصّ القرآنيّ التعبير بفعل الكيونة ومعموليه على التركيب الفعليّ، مع إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ لما للتركيب المؤْثَر من دلالة ثنائيَّة، أوَّلها: أنَّ إيثار (كان) أدلُّ على رسوخ معنى خبره في اسمه، وآخرها: أنَّ إيثار الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور ينتج دلالات سياقيَّة، منها: قوَّة المبالغة في إثبات الخبر للاسم أو شدَّة تمكُّن الوصف (الخبر) من الموصوف (المخبَر عنه)، وقوَّة المبالغة في سياق الإثبات أو النفي أو النهي أو الأمر، وقوَّة الدلالة في سياق المدح أو الذمّ، والتعريض بغير المخاطب أو بغير المتكلِّم، والإيجاز البديع، مع مراعاة الفاصلة القرآنيَّة النونيَّة.

إنَّ من مقتضيات إيثار التركيب المصدَّر بـ(كان) ومعموليه، رسوخ معنى خبره في اسمه، كما أنَّ إيثار الإخبار عن هذا الناسخ بالجارّ والمجرور المجموع على المفرد، تعبير كنائيّ بليغ، ووسيلة من وسائل الإقناع والتأثير بدرجة أكبر ممَّا في المفرد المؤثر عليه.

إنَّ إيثار الإخبار بالجارّ والمجرور المجموع على المفرد له مقتضى عام هو أنَّ الموصوف عندما يكون واحدًا من جماعة يدلُّ على شدَّة تمكُّن الخبر من الاسم المخبر عنه.

يجمع الإيثار بين الثنائيَّة الضديَّة: الإيجاز والإطناب؛ حيث يؤثر التعبير القرآنيّ الإطناب التركيبيّ البديع أو عدم الاختصار؛ مراعاة للسياق الذي يقتضي الإطناب التركيبيّ البديع في مواضع (كسياق التهديد)؛ حيث يفيد الإطناب فيها معنى لا يفيده الاختصار، فقوَّة الدلالة تقدَّم في الاختيار على الإيجاز أو الاختصار، كما يؤثر الإيجاز اللفظيّ البديع؛ مراعاة للسياق الذي يقتضي الإيجاز أو الاختصار في مواضع أخرى.

من مقتضيات إيثار الإخبار عن فعل الكينونة بالجارّ والمجرور المجموع على المفرد؛ التعريض بغير المخاطب في الصفات التي يوصف بها غيره: كالتعذيب، والامتراء، والغفلة، في قوله: (من المعذَّبين – من المتترين – من الغافلين)، والتعريض بغير المتكلِّم في الصفات التي يوصف بها غيره: كالجهل، والضلال في قوله: (من الجاهلين – من الضالّين).

من مقتضيات إيثار التعبير بالحرف (إنَّ) التأكيديّ ومعموليه على التعبير الفعليّ الماضويّ، مع إيثار الإخبار عنه بمركَّب الجارّ والمجرور المجموع على المفرد، التعريض بغير المخاطب أو بغير المتكلِّم في صفة (الظلم).

من مقتضيات الإيثار التوازن الصوتيّ بين النهاية الصوتيَّة النونيَّة في فعل الكينونة (كان ومشتقَّاته)، وكذلك (إنَّ)، ونون المجموع المذكَّر المؤثر على غيره.

من مقتضيات الإيثار التركيبيّ في التعبير القرآنيّ أنَّ التركيب المؤثر ينتج دلالة لا ينتجها المؤثر عليه؛ كأن يكون التركيب المؤثر تعليلاً لجملة سابقة أو تأكيدًا لها.

إنَّ إيثار الإخبار بمركَّب الجارّ والمجرور على المفرد نوع من الإطناب التركيبيّ، بينما الإخبار بالمفرد أخصر؛ لكنَّ الدلالة التي ينتجها الجارّ

والمجرور تقدَّم على الاختصار.

تنوَّع إيثار الإخبار بالجارّ والمجرور المجموع، بين سياقي المدح والذمّ، فممَّا جاء في سياق المدح: (من الواعظين – من الساجدين – من الشاكرين – من المرسلين – من الشاهدين – من الصادقين – من المهتدين – من الزاهدين – من الآمنين – من الناصحين ...)، وممَّا جاء في سياق الذمّ: (من الكافرين – من الظالمين – من الكاذبين – من الصاغرين – من الجاهلين – من المسجونين – من الغافلين – من المرجومين – من المفسدين ...).

تنوَّع إيثار الإخبار بالجارّ والمجرور بين صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول، فجاء بصيغة اسم الفاعل في سياقي المدح والذمّ؛ نحو: (الشاكرين – الصادقين – الشاهدين – الناصحين – الكافرين – الكاذبين – الظالمين – الجاهلين ...)، والأكثر في صيغة اسم المفعول في سياق الذمّ فقط، نحو: (من الممترَين – من المعذَّبين – من المنظَرين – من المخرَجين).

إنَّ إيثار التعبير بفعل الكينونة مع إيثار الإخبار عنه بالجارّ والمجرر المجموع على المفرد، يدلُّ على رسوخ إثبات الصفة للموصوف أو انتفائها عنه؛ فمن الإثبات قوله: (إلاَّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) يدلُّ على رسوخ معنى عدّ إبليس في زمرة الكافرين، وفي النفي قوله: (إلاَّ إبليس لم يكن من الساجدين)، يدلّ على شدّة انتفاء الخبر (الصفة) في الموصوف (المخبر عنه)؛ فهو لم يدرج من قبل الله –تعالى– في زمرة الساجدين أصلاً.

يؤثر التعبير القرآنيّ الإخبار بالجارّ والمجرور دون مؤكّدات في مواضع لا تحتاج إلى تأكيد، ويؤكّدها بمؤكّد حرفيٍّ واحدٍ في مواضع ثانية، وبمؤكّدين أو أكثر في مواضع أخرى؛ وهذا التأكيد قرينة من قرائن إيصال المعنى للسامع، ووسيلة من وسائل إقناعه.

ثَبَت المصادر والمراجع

- إعراب الجُمَل وأشباه الجُمَل، شوقي المعري، دار الحارث، سوريا، دمشق، ١٩٩٧م.
- إعراب الجُمَل وأشباه الجُمَل، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، حلب، سورية، ط٥، ١٩٨٩م.
- أمالي ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، ودار عمَّار، عمَّان، د.ت.
- البحر المحيط، مُحمَّد بن يوسف أبو حيان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرين، قرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- بناء الجملة العربيَّة، مُحَمَّد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- بنية شبه الجملة في التراكيب العربيَّة، "دراسة تحليليَّة في ضوء التراث النحويّ والدرس اللغويّ الحديث"، مأمون عبد الحليم محمد وجيه، المجلَّة العربيَّة للعلوم الإنسانيَّة، العدد ٣٠/١١٧، ٢٠١٢م.
- التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، الدار التونسيَّة للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح: مُحمَّد علي النجار، المكتبة العلميَّة، بيروت، لبنان، ١٩٥٢م.
- شرح الرضيّ على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.
- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو

القاسم بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: أحمد عادل عبد الموجود وآخرين، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٨م.

- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.
- اللغة بين المعياريّة والوصفيّة، تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٠م.
- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢، ١٩٩٩م.
- معاني النحو، فاضل صالح السامرّائيّ، دار الفكر، عَمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.
- المعجم الاقتصادي الإسلامي، أحمد الشرباصي، دار الجيل، ١٩٨١م.
- مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق وشرح: عبد اللطيف مُحَمَّد الخطيب، السلسلة التراثيَّة، الكويت، ط١، ٢٠٠٠م.